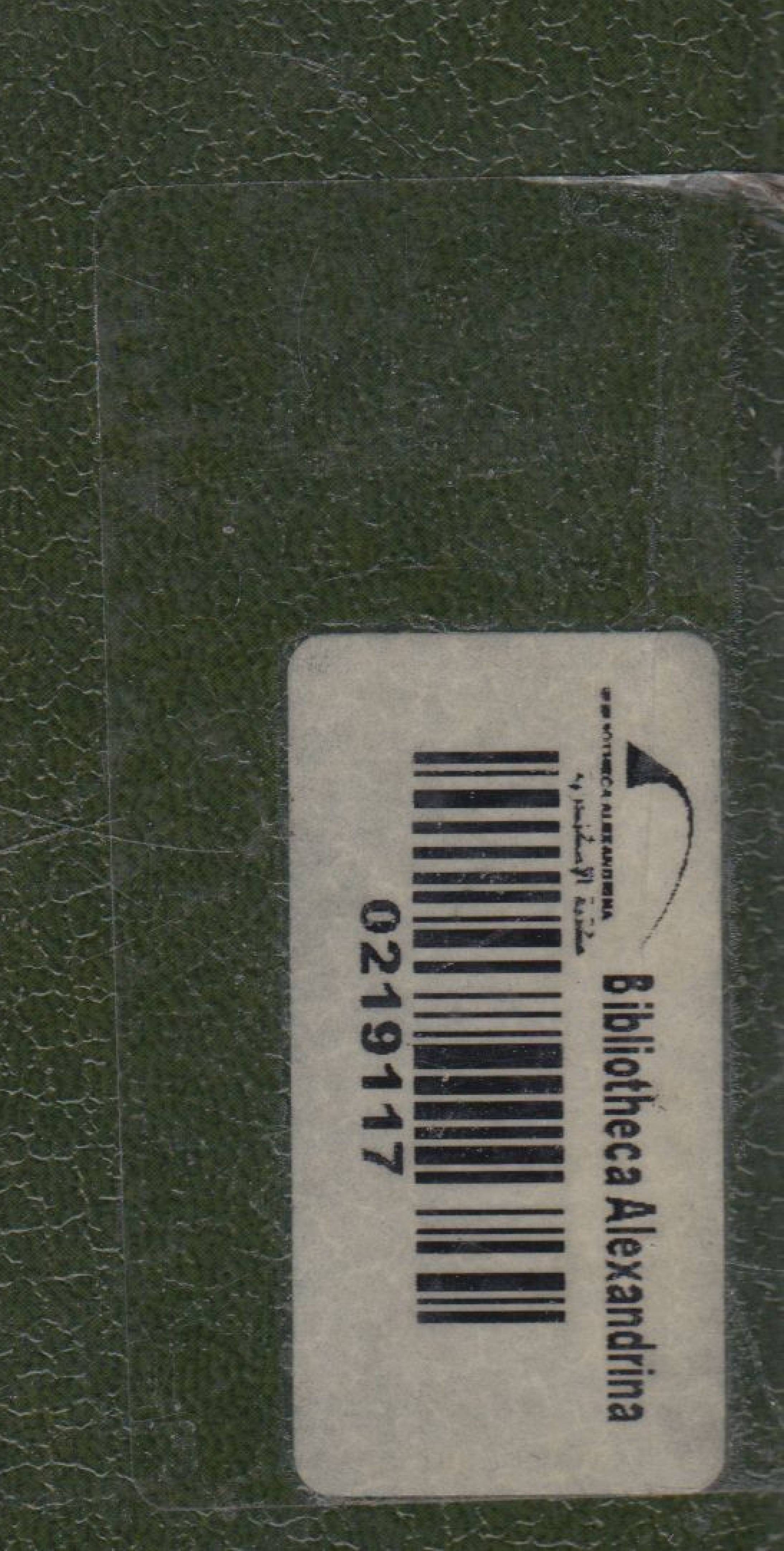

Bibliotheca Alexandrina
0219117

مصر والحرب العالمية الثانية

تأليف

جان ليجول

تعريب

عبد الرحمن فهمي

القاهرة
مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)
١٩٥٠

مصر والحرب العالمية الثانية

تأليف

چان ليجول

تعريب

عبد الرحمن فهمي

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع النواوين)

١٩٥٠

مقدمة

عندما طالعت هذا الكتاب بالانجليزية نقلا عن الأصل الفرنسى لمؤلفه الأستاذ جان ليجول رأيت أن أنقله الى العربية فى هذه الصورة لأبرز الدور الذى لعبته مصر فى الحرب الماضية ؛ والمساعدات القيمة التى قدمتها لانجلترا والحلفاء تنفيذا لتعهداتها ٠

ويلاحظ القارىء الكريم أن المؤلف تناول تطورات الحرب حتى نزول القوات الأمريكية الى شواطىء أفريقيا الشمالية وتمكين قدمها فيها تمهيدا للقضاء نهائيا على نفوذ المحور فى أوروبا وآسيا ٠

كما يلاحظ أن ميول المؤلف الديموقراطية دفعته الى الكتابة فى ناحية واحدة هى وجهة نظر الحلفاء دون المحور ٠ ولو أنه كتب بصفته محايدا لعرض علينا صورة شيقة حقيقية لتطورات وحوادث النزاع بين المعسكرين ٠

والكتاب يعرض فيما يعرض موقف مصر — وهى مركز وسط بين الغرب والشرق ، ونقطة اتصال هامة ومحطة عالمية أفادت الحلفاء كثيرا — فبين فى جلاء الدور الهام الذى لعبته فقدمت لحليفتها مساعدات قيمة لا تنكر وحمت ظهور قواتها الكثيرة المقيمة والوافدة التى كان عليها أن تتحمل فى الشرق الأوسط وافريقيا والصحراء الغربية عبئا ثقيلا ٠

ولولا هذا الموقف من مصر ، وتمسك حكوماتها المتعاقبة بتنفيذ نصوص معـاهدة سنة ١٩٣٦ ، وما قابل به الشعب المصرى فى شجاعة وهدوء وصبر الحوادث الخطيرة المتتالية للقيت انجلترا وحلفاؤها عنتا شديدا ولتغير الموقف الذى وصلت اليه .

ومع تنفيذ البلاد لتعهداتها ووضع مرافقها العامة تحت تصرف حليفتها ومساندتها فى محنتها « فى سخاء وكرم » كما صرح رجالها الرسميون ، فان الدولة صرحت ، بتوجيه من جـلالة الملك المعظم ، على انتهاج سياسة قويمة هى عدم تعريض البلاد لويلات الحرب أو توريطها فى قتال ليس لها به شأن . وقد استفاد من هذه السياسة الحكيمة مصر والحلفاء على السواء . اذ نجت البلاد من الويلات التى حلت بالدول الأخرى المحاربة ، وضمن الحلفاء لقواتهم العديدة ملجأ أمينا فى الشرق الأوسط .

نعم تعرضت بعض المدن المصرية لاخطار القنابل الشديدة ولكنها لم تكن على كل حال بالصورة التى تعرضت لها مدن أوروبا المختلفة . وغالبا ما كانت برلين وروما تحرصان على التصريح بأن هدف الغارات لم يكن الا المنشآت البريطانية العسكرية .

وقد تحمل المصريون من محالفة انجلترا كثيرا من الاخطار . فكانت مصر مهددة بالغزو وكادت تسقط فى أيدى قوات المحور . كما تحمل الشعب كثيرا بالحد من حرياته العامة باعلان الأحكام العرفية ، وبضغط استهلاكه الضرورى وبعرقلة تجارته الخارجية لانشغال السفن بالنقل الحربى ولغلق الطرق البحرية التجارية .

واذا كان الحلفاء قد هبوا فى وجه ألمانيا وايطاليا واليابان

ليقضوا على النظم الديكتاتورية والنظريات الجنسية والروح العسكرية التى هددت بها العالم وأمنه ، فناضلوا من أجل الحرية وصرحوا بأنهم انما يبغون بنضالهم حياة سعيدة آمنة للعالم والأجيال المقبلة • فما بالنا اليوم نراهم بعد أن تم لهم القضاء على المحور ونظمه ونظرياته وروحه يختلفون فيما بينهم وينقسمون الى معسكرين يعلن كل منهما على الآخر حربا باردة شديدة نشفق أن تنقلب الى حرب عالمية ثالثة قوامها البغض والحقد ووسائلها آلات الهلاك الجهنمية والقنابل المدمرة الشاملة • وعندئذ لا يكون هناك أمل فى السلام الدائم الذى كانوا يتغنون به •

فى هذه المقدمة السريعة يجب أن نحنى الهامات اجلالا وتقديرا وتعظيما لعاهل وادى النيل حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، فقد ضرب لشعبه الوفى فى أحلك الساعات المثل الرائع فى الشجاعة والثبات والصبر والتضحية • ولم تكن الابتسامة الجميلة تفارق شفتيه فمسحت عن الشعب ما أحاط به فى ظروف كثيرة الحوادث الجليلة والأخطار المهددة • وكان جلالته فى الملمات النبراس الذى يهتدى به شعبه والطود الشامخ الذى يحتمى فيه •

ونحن لا ننسى مواقف جلالته الكثيرة ابان الحرب التى دلت على نبل القلب وشجاعة النفس وصدق الوطنية • ومن بعض أمثلة ذلك أنه عند اشتداد أزمة التموين وصعوبة حصول الشعب على الرغيف حرص جلالته على تشريف جلسة مجلس الوزراء حين اجتمع لبحث مسائل التموين • كما أمر جلالته مخازن الخاصة

فأفرجت عن كافة ما بها من حبوب وسلمتها الى الحكومة لتوزيعها على عجل على المطاحن • وعندما وصل رومل الى العلمين وظنت القيادة البريطانية أنه على وشك دخول العاصمة عرضت على جلالته فكرة الانتقال بالجو الى الخرطوم مع الأسرة الملكيـــة ورجال البلاط وحكومته ولكنه رد عليها فى كثير من الهدوء بأنه باق ليشارك شعبه مصيره •

نسأل الله أن يبقى جلالته ذخرا لوادى النيل لينال على يديه تمام الاستقلال • كما نسأله أن يلهم العالم سبيل الرشاد فلا يندفع مرة أخرى فى حرب لا يعلم الا الله نتائجها • وأن ينشر على ربوعه راية السلام ويوجهه وجهة البناء والتعمير بدل الهدم والتدمير •

عبد الرحمن فهمى

فى أواخر أغسطس من سنة ١٩٣٩ حيث كان القيظ شـــديدا فى مصر والجو مشبعا بالرطوبة الخانقة كان كبار المصريين بين مصطاف فى الخارج ، فى أوروبا والشام وبين هارب الى ثغور المملكة حيث البحر يحد من حرارة الصيف .

فى ذلك الوقت استحوذ القلق على النفوس فى العالم كله أثر الأزمة التى اجتاحت أوروبا لموقف رئيس حكومة ألمانيا الهر هيتلر من دانزج وبولندا . وبالرغم مما بذله ساسة العـــالم ورجاله من أصحاب الأعمال من جهود كبيرة لتهدئة ذلك القلق الذى شمل الشعوب كافة عرفنا أن الحرب العالمية الثانية لن تلبث أن يندلع أوارها بالرغم من الهدوء الظاهر الذى كانت تزلزل أركانه من حين لآخر خطب الفوهرر العنيفة وحرب الأعصاب التى تشنها صحف برلين وروما .

كانت ألمانيا تستعد تماما لغزو بولندا ، وكان بعض ساسة فرنسا ينصحون بعدم توريط بلادهم باراقة دماء أبنائها من أجل دانزج . ولكن مسيو دلادييه فى باريز ومستر تشمبرلن فى لندن يؤيدهما الفاتيكان والرئيس روزفلت كانا يبذلان ما فى وسعهما لايجاد حل سلمى للأزمة . وفى الوقت نفسه أعلنت فرنسا وانجلترا فى غير مواربة بأنهما ستهبان للذود عن بولندا اذا ما اعتدت عليها دولة أخرى لسابق تعهدهما لها بحمايتها من أى اعتداء عليها .

ولم يهم الفوهرر لهذا الموقف من دولتين كبيرتين فى أوروبا بل عمل — مدفوعا بشعوره بقوته الجبـــارة — على هدم الجمهورية البولندية هدما شاملا . ثم ما لبث فرجينو جايدا المحرر الفاشيستى أن مهد لهذا العمل بنشره مقالا قال فيه «لن تتعدى ساعة الفصل بضعة أيام» .

واذا تساءلنا ما الذى كانت عليه الحالة قبيل بدء الاعتداء النازى وجدنا أن الأمور كانت تسير نحو الكارثة بخطوات واسعة. اذ وردت الأنباء فى ٢٢ أغسطس بعقد اتفاق عدم اعتداء بين دولتين كل منهما عدو طبيعى للأخرى هما ألمانيا وروسيا وذلك عند ما وقع رينتروب فى موسكو وثيقة صداقة بين الدولتين اشترط فيها عدم اعتـــداء احداهما على الأخرى. واهتزت جوانب أوروبا وغيرها لهذا الحادث، حتى لقد سحبت فرنسا وانجلترا بعثتيهما العسكريتين من موسكو ، وعم العالم شعور بأن الحوادث تشير الى وقوع الحرب فى مصلحة ألمانيا المعتدية .

وما لبثت فرنسا وانجلترا أن ثابتا لرشدهما من أثر الدهشة فأعلنت حكومتهما بأن معاهدة موسكو لا تؤثر فيما سبق تعهدتا به لبولندا . وسلم سفيراهما مذكرة بهذا المعنى لهيتلر ، وصدرت اليهما تعليمات للاتصال بمسيو مولوتوف وزير خارجية روسيا لمعرفة الخطوة التالية للاتفاقية .

شمل النشاط السياسى الجارف باريز ولندن وبرلين وموسكو وروما وعاد أقطاب الدول من أجازاتهم الصيفية الى عواصم بلادهم وذهب مسعى هندرسون سفير بريطانيا فى برلين مع هيتلر هباء .

وسرعان ما جمع ليوبولد ملك بلجيكا ملوك ورؤساء دول الدنمرك وفنلندا ولكسمبورج والسويد والنرويج وهولندا فى مؤتمر فى أوسلو وتباحثوا فى الموقف ثم أصدروا بيانا ناشدوا فيه العالم بأسره أن يعمل سريعا على تجنب الكارثة . كذلك نصح روزفلت هتلر بالتريث وحل المشكلة مع بولندا حلا سلميا وأبرق الى الملك عمانويل ليتدخل لحسم النزاع ولكن كل هذه المجهودات كانت بمثابة صراخ فى الفضاء لا يردد الا الصدى .

ودلت جميع الشواهد على أن هيتلر جاد فى احتلال دانزج ومهاجمة بولندا والسير الى آخر الشوط لايثنى عزمه أحد . وأكدت فرنسا وانجلترا لألمانيا فى ٢٧ أغسطس عزمهما الوقوف الى جانب بولندا . وفشلت نهائيا المفاوضات التى لم تنقطع بين لندن وباريز وروما ابقاء للسلم . ثم ما لبثت الحكومة الفرنسية فى ٢٩ أغسطس أن أغلقت حدودها الشرقية ومنعت الاتصال بين أرجاء فرنسا والبلاد الأجنبية .

أما ألمانيا فانها حشدت جحافلها على حدود بولندا التى أعلنت حالة الطوارىء واستعدت للدفاع عن نفسها . وأذاع روتر فى أول سبتمبر بين اشفاق العالم وأسفه نبأ هجوم ألمانيا فى الصباح الباكر على الممر البولندى واتجاه الجيش النازى الى بولندا من أربع جهات دون سابق اعلان للحرب . وسرعان ما اتخذت الحكومتان الفرنسية والانجليزية اجراءات لدخول الحرب ضد ألمانيا .

وقال هيتلر فى بيان له « لقد عزمت على تسوية المسألة على طريقتى الخاصة » .

— ٢ —

ماذا كان الحال فى مصر ؟

لم يكن جلالة الملك فاروق الأول قد جاوز التاسعة عشر من عمره السعيد بعد أن مضى على تنصيبه على عرش أجداده الأمجاد ثلاث سنوات . يرأس ديوانه رفعة على ماهر باشا ، ويتربع دست الوزارة المغفور له محمد محمود باشـــا يعاونه وزراء من السعديين وبعض المستقلين ويظاهره برلمان يرأسه بهى الدين بركات باشا . وكان مجلس الشيوخ من أغلبية وفدية يقودها المرحوم يوسف بك الجنـــدى .

لم يكن رئيس الحكومة فى موقف يحسد عليه . فقد كان معتلا مريضا يحكم دولة تقع بين أملاك امبراطورية قديمة وامبراطورية ناشئة . ولم تعد مطامع موسولينى خافية على أحد . كتب جايدا لسان حاله «لو أن ايطاليا أرادت غزو مصر للقيت من العرب والمسلمين تأييدا ، فهم يحبونها ولا يأنفون من مساعدتها» وصرح المارشال بالبو مرة وهو فى القاهرة لبعض أخصائه يقول « أن مصر فى جيبى » ورددت الألسن الفاشية المنتشرة فى مدن مصر الكبرى هذا القول . لذلك لم يكن عجيبا أن تقيم السلطات العسكرية المصرية والانجليزية مناورة كبرى ، وأن تسرع القيادة البريطانية فى مصر الى تنظيم وســـائل الدفاع عن الصحراء الغربية وتقوية حراسة قناة السويس .

ولم يكن الانسجام بين أعضاء الوزارة متوفرا فأدى ذلك مع

اعتلال صحة الرئيس واكفهرار الجو المحيط بالعالم الى استقالة الوزارة وتكليف رفعة على ماهر باشا بتأليف حكومة أخرى .

كان الرئيس الجديد موضع معارضة شديدة من الوفد المصرى ظهرت عند تعيينه رئيسا للديوان الملكى . وتألفت الوزارة من السعديين والمستقلين أيضا . ولم يكن القلق من الموقف الدولى خافيا فقد عقد مجلس الدفاع المؤلف من رئيس الحكومة والسفير البريطانى وقائد القوات البريطانية فى مصر اجتماعا فى بولكلى صدر عقبه بيان قيل فيه أنه ناقش أحسن الوسائل لمجابهة الموقف الدولى وكلف المسئولين ببحث مسائل التموين المختلفة .

سؤال هام جرى على الشفاه فى ذلك الوقت هو ماذا يكون موقف ايطاليا من الحرب ؟ وتتبع الرأى العام المصرى أنباء روما فى اهتمام بالغ . ولما عاد كونت موتزلينى سفير ايطاليا من أجازته صرح للجماهير من كل جنس المتجمعة حول دار المفوضية لتنسم أخبار ايطاليا بقوله «ان كل شىء على ما يرام» . كذلك أذاع رئيس الوزراء بيانا على الصحف ضمنه هدوء موقف ايطاليا ووقوفها الى جانب السلم .

أخطر سفير ألمانيا وزارة الخارجية المصرية رسميا بأن دولته فى حرب مع بولندا . واجتمع مجلس الوزراء اجتماعا غير عادى أصدر فى عقبه الأحكام العرفية . وصدر مرسوم بتعيين رفعة ماهر باشا حاكما عسكريا على البلاد وفرضت الرقابة العامة تطبيقا للمادة السابعة من المعاهدة المصرية الانجليزية .

كما تعهدت مصر عقب اعلان انجلترا الحرب بتنفيذ شروط المعاهدة وقطعت علاقاتها الدبلوماسية بحكومة الريخ وقبضت على رعايا ألمانيا الرجال منهم دون النساء والأطفال وصادرت أملاكهم . ولم تكن هذه التدابير وحدها كافية لدرء الخطر النازى والحد من نشاط الجاسوسية التى نشطت عقب زيارة ڤون فريتش والدكتور جوبلز لمصر من قبل لتجعل منها مركزا لنشاط توسعها فى الشرق بدليل ما عثرت عليه السلطات فى القاهرة من وثائق نازية خطيرة ومطبوعات لا حصر لها وأجهزة ومحطات لاسلكية سرية للدعاية .

لم يكن اخلاص مصر كدولة حليفة لبريطانيا مشكوكا فيه . ونشرت الصحف الأجنبية مقالات مسهبة عن اخلاص البلاد فى تنفيذ تعهداتها . جاء فى الاجبشيان جازيت « ان بريطانيا لن تنسى موقف مصر وستذكر دائما بالامتنان هذه المعاونة الطيبة التى قدمتها فى سخاء وكرم » . كذلك فعلت صحف لندن ومدحت موقف مصر السليم رغم ضخامة الدعاية النازية والفاشية .

ونشرت جريدة المصرى عبارة أفصحت فيها عن الشعور المصرى العام فقالت « المصريون فى هذه اللحظة الرهيبة متحدون كرجل واحد يسألون الله نصر العدالة والحق والديموقراطية وتأمين مصر » . وصرح رئيس الحكومة لمندوب التيمس قائلا « تتجه مصر حكومة وشعبا الى بريطانيا بقلبها فى هذا النضال القاسى من أجل العدالة والحرية . وستقدم مصر لحليفتها كل عون تنفيذا لتعهداتها وستعارض كل محاولة للقوة الغاشمة . لقد ناضلنا طويلا للحصول على استقلالنا وما زلنا على استعداد للتضحية ابقاء عليه » .

ظن الناس أن سفير ايطاليا مخلص فى تصريحه وصدقوا قرار مجلس الوزراء الايطالى بأن ايطاليا لن تتخذ أى نشاط حربى بل انها ستقف موقف الحياد . ولكن الشكوك ما لبثت أن أحاطت بايطاليا عقب اذاعة برقيـــة هيتلر للدوتشى يشكره فيها على المساعدة الدبلوماسية القيمة التى قدمتها ايطاليا لألمانيا ولمطالبها المشروعة . وبدأت الحكومة الايطالية تسير على سياسة ميكياڤلية بغيضة حتى انتقل حياد موسولينى الى اشتراك فعلى فى الحرب عندما طعن فرنسا فى ظهرها دون خجل .

كان الرأى العام قلقا يتوق الى معرفة نوايا ايطاليا الحقيقية . فقد جاء فى أهرام ٤ سبتمبر على لسان مراسلها فى روما «نعلم أهمية حياد ايطاليا من وجهة نظر الدفاع عن مصر. ويبدو أن هذه الدولة محايدة فعلا بدليل اذاعة محطات روما اللاسلكية خطاب مستر تشمبرلن على ما فيه من انتقاد مرير للسياسة النازية ، ومواصلة البـــاخرة الايطالية ماركوبولو نقل المسافرين الى الاسكندرية ، وعودة مئات التلاميذ الايطاليين الى مدارسهم فى مصر بعد قضـــاء عطلتهم فى بلادهم ، وعدم تلقى المفوضية الايطالية تعليمات بترحيل رعاياها » .

لكن هذه الاستنتاجات كانت خاطئة فقد حوت برقية هيتلر فوق الشكر عبارة هامة هى « وأعتقد أن فى امكانى بقوة ألمانيا الحربية تنفيذ سياستنا المشتركة ورسالتنا المنشودة دون حاجة الى مساعدة عسكرية من ايطاليا » وكانت سياسة موسولينى الغامضة سببا فى احتفاظ فرنسا وانجلترا بفرق كبيرة فى الألب وأفريقيا وبجزء كبير من القوات فى البحر الأبيض . فهل هى سياسة مرسومة ؟.

تدل الحوادث على أن ديكتاتور ايطاليا كان مرغما على اتخاذ خطة الحياد لمعارضة الايطاليين والملك فكرة الاشتراك الفعلى فى الحرب منذ البداية . انظر الى الخطاب الطويل الذى ألقاه هيتلر فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٣ بعد أن ألقت ايطاليا سلاحها تقرأ فيه « حين أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب علينا كان على ايطاليا أن تسرع فى الاستعداد لتكون الى جانب الريخ تنفيذا للمعاهدة التى بين البلدين . وقد رغب موسولينى فى الحال فى تنفيذ تعهده ولكن قواته التى قبلت اليوم أن تسلم للعدو هى التى أفلحت من قبل فى عدم دخول ايطاليا الحرب الى جانب حليفتها وأنا بصفتى رئيس ألمانيا لا أحمل للدوتشى فى هذه الفترة القاسية التى تحيط به من كل جانب الا كل عطف » .

كذلك نجح جايدا بما كان ينشره فى صحيفته فى تضليل العالم والتمويه عليه بأن أدخل فى روعه فكرة قوة ايطاليا الفاشية وقدرتها العسكرية العظيمة فخدعه طوال الفترة بين سبتمبر ١٩٣٩ حتى ميعاد اعلانها الحرب فى مايو ١٩٤٠ وبذلك استطاعت أن تبقى بعيدة من أتونها بينما كان الملايين يكتوون بنارها .

وقيل ان الجنرال جاملان اقترح منذ اعلان الحرب مهاجمة ايطاليا فلم يؤخذ باقتراحه لتسلط الخرافة القائلة بقوة الجيش الفاشى على العقول حتى جاء الوقت الذى سحقت فيه أقدام القوات اليونانية وقوات الجنرال ويفل هذا الجيش فى ألبانيا والصحراء والغربية .

مالبث العالم أن أدرك حقيقة قوة الريخ العسكرية بعد معركة بولندا . وتبينت له طبيعة الحرب الحديثة التى اتسمت بالوحشية وخلت من الرحمة والروح الانسانية قال دلاديه أثناء محاكمة ريوم « ان معركة بولندا فتحت أعين الناس عن قوة الأسلحة الألمانية المدمرة الهائلة » .

ورغم رجاء الرئيس روزفلت الفريقين المتحاربين تجنب الاعتداء على المدنيين أغارت الطائرات الألمانية على المدن فأمطرتها بوابل من قنابلها حولتها الى انقاض واطلال . وكان السلاح الجوى الذى نجح جورنج فى تنظيمه اداة هلاك مخيفة . ولم يكن قذف وارسو بالقنابل الا مثلا صغيرا لما كانت تنتظره روتردام ومدن فرنسا ولندن وبلغراد .

ونشطت الغواصات الألمانية وردت بقوة على الحصار البحرى الذى فرضه الحلفاء على ألمانيا . وبدأت باغراق الباخرة الأمريكنية الكبيرة أثينا وهى تخرج من الشاطىء الانجليزى حاملة ١٤٠٠ مسافر .

لم يكد ينقضى على مهاجمة بولندا أسبوع واحد حتى بدأت معركة وارسو وانتقلت الحكومة من العاصمة الى لوبلان . وحاول الجنرال جاملان الفرنسى مساعدة بولندا فقام بهجوم قوى على الحدود الغربية عند خط سيجفريد وتقدمت جيوشه فى الأراضى الألمانية ولكنها وقعت فى كمين نصب لها بين السار والفوج . ثم

مالبث الجيش البولندى أن انسحب بعد مقاومة باسلة فاشلة وبعد اشتراك روسيا فى مهاجمتها من حدودها الشرقية .

وعلق تشمبرلن على الهجوم الروسى بأنه كان منتظرا ، وذكر أن فرنسا وانجلترا رغم عجزهما عن مساعدة بولندا فى الحال متمسكتان بتعهداتهما ولن يفل من عزمهما سير الحرب فى مصلحة الدولة المعتدية .

وبعد عامين هاجم الريخ روسيا وعندئذ قال ستالين مبررا سياسته فى مهاجمة بولندا ، مفندا انتقادها هجومه « ربما عجب الناس من ابرامنا معاهدة مع دولة خائنة مثل ألمانيا هذا مبلغ احترامها لتعهداتها . ونحن لم نخطىء بهـذا العمل لأننا كنا نعلم أنها دولة لا تعرف السلام وتستطيع متى شاءت أن تنكث بعهدها ما دام على حكمها رجال أمثال هتلر وريبنتروب ، ولكننا ربحنا فى فترة مسالمتها اذ تمكنا من الاستعداد لمجابهة الهجوم النازى الحالى » .

دل مهاجمة الروس لبولندا على بعد نظر . فهم لم يكونوا يسمحون بتقدم الألمان فى بولندا منتصرين دون أن يحتاطوا لتأمين حدودهم . ولو أنهم سمحوا لهتلر بمواصلة التقـدم حتى الحـدود البولندية الروسية لكان معنى ذلك اخلاءهم الطريق أمامه الى قلب روسيا . وقد اضطرت الفرق الألمانية المائه والسبعون الى أن تقاتل الجيش الأحمر طويلا بعيدا عن الأراضى الروسية .

اذن فسبب كارثة بولندا هو سوء حظها لموقعها الجغرافى كطريق بين القوات التيوتونية والروسية . ومثلما فعل ستالين فى بولندا فانه فرض على دول البلطيق الصغيرة وفنلندا اتفاقات الغرض منها

تأمين حدود بلاده ليفرغ الى صد الاعتداء النازى عليه من الغرب . ولو لم يفعل ذلك لما استطاع الدفاع عن موسكو سنة ١٩٤١ .

عرفنا أن هتلر بعد أن سوى مسألة بولندا أراد أن يعقد صلحا مع فرنسا وبريطانيا ، ومهد لذلك بهجوم سلمى قوى حاول أن يشرك فيه روسيا وايطاليا ولكن باريز ولندن اشاحتا عنه فاستمرت الحرب .

وقامت الغواصات الألمانية بأعمال ملحوظة ، فأغرقت حاملة الطائرات الضخمة « رويال اوك » . وعمل دعاة المحور على تضليل الرأى العام الديمقراطى فادعت برلين وجود خلافات داخلية فى ألمانيا ونزاع بين قواد النازى أدت كلها الى محاولة الاعتداء على حياة هتلر فى مشرب البيرة بميونخ .

ظن الناس أن الحرب لن تتعرض للسكان الآمنين وخدعوا بتصديق فكرة عجز النظام الهتلرى عن مقاومة الحركة الثورية الألمانية التى قيل أنها متفشية فى البلاد . ونجحت حرب الأعصاب التى شنتها الدعاية النازية . وحاول جوبلز تقسيم معسكر الحلفاء . ومع حرصه على عدم التعرض لروسيا أوعز لحلفائه الفاشيين بنشر الشائعات عن الخطر البلشفى الذى كانت ألمانيا بطبيعتها مهتمة بمناهضته . ووجدت النظريات والأفكار النازية أرضا خصبة لها فى فرنسا ، وكان من رأى بيتان ورجال فيشى اثارة حرب صليبية على روسيا فاتخذ منهم هتلر اداة لتنفيذ سياسته وبث دعايته وتقسيم معسكر الحلفاء .

وعجبنا فى مصر من وقوف ايطاليا موقف العداء من روسيا التى هى حليفة لصديقتها ألمانيا ثم ما لبثنا أن عرفنا السبب .

وفى ٣ نوفمبر هاجم الروس فنلندا بعد فشل المفاوضات بين الدولتين ووصف جورنج هـذا الهجوم فيما بعد وطبيعة الحرب الروسية فى فنلندا بأنه « أعظم خدعة عرفها التاريخ » اذ مثلت فيه روسيا دور الدولة الحربية الضعيفة فخدعت العـالم وضللته عن حقيقة قوة الجيش الأحمر .

وبدأ هتلر حرب الألغام الممغطسة ضد الحلفاء ثم قامت معركة بحرية كبيرة فريدة فى نوعها بين السفن الألمانية والانجليزية انتهت باصابة « جراف سبى » واغراق قائدها لها . وأصابت هذه الهزيمة كبرياء برلين وقابلها معسكر الحلفاء بحماسة فائقة .

وقارب العام من نهايته ولم يتصور أحد أن العام الجديد جاء يحمل فى طياته البؤس لأوروبا وان أقدام الهون ستطأ منتصرة أراضى هولندا وبلجيكا وفرنسا . وان فرق البانزر وأسراب طائرات ستوكا ستخلف وراءها الموت والخراب والدمار .

— ٤ —

تتبعنا فى مصر أخبار الحرب مع بعدها عنا فى قلق شديد لأن هزيمة بولندا دلت على ما قدمه المحور من نماذج لقوته الساحقة .

وأثير سؤال خطير هو هل تعلن مصر الحرب على الريخ ؟ قالت المقطم « ان من مصلحة مصر اعلان الحرب على ألمانيا لأن ذلك يخول لنا حق الاشتراك فى مفاوضات الصلح لو أن النصر كتب للحلفاء ولن يفيدنا مجرد قطع العلاقات السياسية شيئا » .

ظل الرأى العام حائرا يترقب جوابا على السؤال حتى نشرت البلاغ مقالا بقلم المرحوم عبد القادر حمزة باشا قال فيه « ليست المسألة مجرد ربح نجنيه . والعقل لا يقر الاندفاع فى حرب دون مبرر اذ اعلاننا الحرب على ألمانيا يعد منا عملا عدائيا . وبناء على المادة ٤٦ من الدستور فانه لا يملك حق تقرير أمر خطير كهذا الا البرلمان . ولماذا تعلن مصر الحرب وقد نفذت شروط المعاهدة فأعلنت أنها دولة غير محاربة ووضعت مرافقها العامة تحت تصرف الحليفة ؟ ان أحدا لا يملك أن يطلب منا بعد ذلك مزيدا فاعلان الحرب تؤثر فينا سياسيا وماديا . ومصر حكومة وشعبا لا تبغى حربا » . ومع ذلك طالب الوزراء السعديون باعلان الحرب وتحمس للفكرة المرحوم أحمد ماهر باشا .

واستولت ألمانيا على سفن منها سفينة يونانية تحمل أخشابا لمصر ، واعتبرت هذه الدولة من بلاد الأعداء رغم عدم اعلانها

الحرب . واستندت فى ذلك على أن انجلترا تستفيد بحقوق خولتها لها المعاهدة المصرية الانجليزية وقابلت مصر هذا العمل بامتعاض شديد لأن بريطانيا لم تكن طالبت بأكثر من تنفيذ شروط المعاهدة ولم تشترك مصر الى جانبها فى الحرب .

ومع هذا دلت الشواهد على أن مصر غير المحاربة كانت أكثر نفعا للحلفاء من مصر المحاربة اذ احترم المحور موقف مصر وحرص على بقائه هكذا فى مشروعات غزوه وفى غاراته الجوية . وكان لمصر حق الاحتجاج كلما مس بلادها اصابات غير مقصودة . ولو أن مصر تعرضت فى الواقع لكثير من الاضرار وعانت من تدمير القنابل الا أن اصاباتها لم تكن تقاس بما حدث فى البلاد الأوروبية المحاربة .

واهتم جلالة المليك بأمر جيشه وتقويته وأنشىء الجيش المرابط ونيط به حراسة المرافق العامة . واتخذت الحكومة اجراءات استثنائية لتحول دون ارتفاع أسعار الحاجيات أو تخزينها واخفائها . فتشكلت لجنة لتحديد الأسعار ولكن اجراءاتها لم تنجح لعدم تعاون التجار معها ، ولالتواء سلوكهم بغية الكسب غير الشريف مما اضطر الحكومة الى تشديد الرقابة عليهم وأخذهم بالعنف . ومع ذلك لم يخب نشاط السوق السوداء .

ولما قلق الزراع على محصولهم القطنى الذى كانوا يأملون من ورائه كثيرا وذلك بسبب تعذر الملاحة كلف البرلمان الحكومة بمفاوضة بريطانيا على شرائه .

وفى الاحتفال بالدورة البرلمانية الجديدة جاء فى خطاب العرش

ما يأتي « ... ومع اننا اخترنا جانب الحليفة حفظا لتعهداتنا ، وقمنا بالاستعداد للدفاع عن بلادنا بكل ما نستطيع ، فاننا نأمل أن يسلم العالم ... ومصر التي ترنو الى السلام وتؤمن بمزاياه قد اقتنعت بأن تحالفها مع بريطانيا العظمى يكفل لها هذا السلام وينشره في ربوع الشرق الأوسط .... وما دامت حليفتنا قد اشتركت في الحرب دفاعا عن الحق فان مصر بدورها تقوم بواجبها في غير تردد حفظا لعهدها ... ويسرني أن اكرر لكم والنضال في بدايته ان التعاون مع الحليفة هو رائدنا في المستقبل كما كان في الماضي دائما . ولن تلقى هذه الحليفة من حكومتي وشعبي الا كل مؤازرة ممكنة ».

كان عام ١٩٤٠ مسرحا لمأساة قضية الدول الديمقراطية ، ارتفع فيه نجم هتلر ولم يبشر حظ الديموقراطية بخير . واضطرب الموقف السياسى فى أوروبا لأنه رغم اتفاق الحكومتين الانجليزية والفرنسية تمكنت الدعاية النازية من القاء بذور التفرقة بين الدولتين . وما لبثت الدعاية أن نجحت فى بعض دوائر باريز . فلما كانت الهدنة بين ألمانيا وفرنسا تسلم رجال فيشى — أكثر الفرنسيين تأثرا بتلك الدعاية — مقاليد السلطة .

ومرت فى لندن روح قلق ملحوظة باستقالة مستر هور بيلشيا وزير الحرب بعد مناقشة صاخبة فى مجلس العموم كانت العامل الأول فيها سياسة البلاد الداخلية مثلما حدث فى فرنسا عند استقالة مسيو دلادييه .

وشذ موقف غالبية الدول الأوروبية السياسى ، فألمانيا بارتباطها بروسيا بمعاهدة موسكو لم تستطع التدخل فى النزاع الروسى الفنلندى واقتصرت سياسة برلين على تتبع مجرى العداء بين البلدين فى قلق لا سيما بعد اقتحام الجيش الأحمر لآخر خط دفاعى فى فنلندا .

كذلك كان موقف ايطاليا . كانت تربطها بألمانيا معاهدة ولا يربطها رابط بروسيا ، فحملت صحفها على البلشفية حملة عنيفة وكشرت الدولة عن نابها كلما هددت موسكو بمد نفوذها فى البلقان . وضايق برلين هذا الموقف بين الدولتين المحالفتين لها .

ومن الأوضاع السياسية الشاذة فى أوروبا أن اتجهت مصلحة الحلفاء نحو مساعدة فنلندا ضد روسيا ، ووجدت فى موقف ايطاليا حيالها نوعا من تعاون غير مباشر معهم . وكثيرا ما مدحت صحف الحلفاء مقالات جايدا بعنوان البلقان .

وترقبت الولايات المتحدة هـذا الموقف من أوروبا فى قلق وتحول عطفها نحو الحلفاء بالتدريج حتى أصبح مؤيدا لهم . وكان الرئيس روزفلت قد عارض فى بيانه الذى ألقاه فى الكونجرس يوم ٤ يناير سياسة القوة التى انتهجتها بعض الدول وحذر سامعيه من ترك الأجيال القادمة نهبا لسياسة عالم تتحكم فيه القوة الغاشمة المطلقة . ثم أوفد رسوله مستر سمنر ويلز الى برلين وروما ولندن وباريز ، وأفهم هذا هتلر وموسلينى باضطرار أمريكا الى الوقوف الى جانب الدول الديموقراطية ان هما تمادتا فى سياستهما العدوانية .

وفى البلقان كانت علاقة انجلترا وفرنسا بتركيا طيبة . واجتمع رأى يوغوسلافيا ورومانيا وتركيا واليونان على تدعيم النظام فى هذه الدول والابقاء على اتحادها . غير أن هذا الرأى لم ينفذ اذ اختلفت فيما بينها قبل وقوع الاعتداء النازى عليها مثلما حدث فى دول البلطيق من قبل .

عندما قامت روسيا بمناورتها لفرض ارادتها على جارتها فنلندا كان قصدها بهذا العمل تأمين لينجراد وحدودها الشرقية . وقد علم الناس عندما تعرضت هـذه المدينة لقذائف المدفعية الألمانية المتواصلة مبلغ حكمة سياسة روسيا فى موقفها ازاء فنلندا فقد

أدركت أن هـــذه الدولة الصـــغيرة ســـتكون حتما مخلب القـــط السكندنافى للريخ .

وانتهزت ألمانيا فرصة زيارة مستر سمنر ويلز لأوروبا فقامت بهجوم سلمى قوى اقترحت فيه وقف القتال مع الاحتفاظ بالبلاد التى استولت عليها وقد تبين من اجتماع هيتلر وموسولينى فى ممر برنر ان برلين لم تكن مرتاحة الى نوايا روسيا وانها كانت صادقة الرغبة فى ابرام صلح مع الحلفاء ووقف القتال ولكن هؤلاء قابلوا عروضها بالاهمال والرفض .

كانت سياسة فرنسا منذ البداية ألا تصطدم قواتها بجيوش ألمانيا حتى يتهيأ لمصانعها زيادة الانتاج الحربى ويتيسر لقاء المساعدات الأمريكية . وآمن مسيو دلادييه بالحصار البحرى وبكفايته كما آمن بذلك مستشاروه العسكريون ومستر تشمبرلن .

ولكن الرأى العام بدأ يسأم من سياسة الانتظار خصوصا بعد أن سلمت فنلندا . وهاج الشعور على أثر عبارات اللوم التى وجهها الفنلنديون للحلفاء للتخلى عن مساعدتهم .

ونتج عن ذلك خـــذلان البرلـــان الفرنسى للحكومة واتهم مسيو لاقال مسيو دلادييه صراحة بالتقصـــير فى توجيه الحـــرب الاتجـــاه الذى يكفل لهـــا النجاح فاســـتقالت الوزارة وألف مسيو بول رينو غيرها .

وفى انجلترا قامت أزمة مشابهة انتهت بتأليف تشمبرلن وزارة للحرب من أعضاء جـــدد برئاسة مستر تشرشل فكان ذلك تمهيدا لاضطلاعه بالمهام الجسيمة التى ألقيت على عاتقه طوال سنين الحرب .

وارتاح الرأى العـــام للتعديل الذى جرى فى كل من فرنسا وانجلترا واستنتج منه مبلغ التصميم على مواصلة الحرب لأنه فى الواقع كان فى حاجة الى شعور بأن اداة الحرب فى أيد قوية .

وفى ٩ ابريل اعلن من اوسلو نزول القوات الألمانية فى موانىء النرويج واستيلاؤها على الدانمارك بعد مقاومة قصيرة . وعبثا ذهب مجهود القوات الانجليزية والكندية والفرنسية التى ارسلت على عجل لمساعدة الجيش النرويجى .

ووضح رينتروب للصحف سبب الغزو بقوله « ان الحلفاء بعد عجزهم عن اقتحام الحائط الغربى — سيجفريد — عمدوا بكافة الطرق الى دفع دول صغيرة جديدة الى خوض غمار الحرب فقبلت النرويج معاونتهم بوضع أراضيها تحت تصرفهم تنفيذا لأغراضهم فاضطررنا الى سرعة غزوها » .

ورد عليه مستر تشرشل قائلا « ان طبيعة ســواحل النرويج العجيبة تعد ممرا سريا لعبور السفن المحايدة والألمانية من كل نوع دون رقابة تحت حماية الطائرات الألمانية . وفى بقاء هذا الممر بهذه الكيفية خطر علينا وضرر يكلفنا كثيرا . وهو يفيد ألمانيا ويعرقل الحصار المضروب عليها . لهذا كان من الطبيعى أن تتخذ البحرية الانجليزية حياله اجراء ما ، فبثت حقلا من الألغام فى المياه النرويجية حتى تضطر السفن فى اتجاهها لألمانيا وخروجها منها الى الظهور فى البحار المفتوحة فيسهل رقابتها والاستيلاء عليها ، ومع ذلك كانت الحكومة حريصة فى عملها على عدم خرق القانون الدولى حتى من

الناحية الفنية فاتخذت الوسـائل الكفيلة بعدم تعريض السفن المحايدة للاضرار كما أبلغت ما فعلته للعدو نفسه » .

وفى أول مايو بدأ نشاط بريطـانيا فى البحر الأبيض فمنعت سفنها من عبوره وأوقفت الطريق الامبراطورى الجوى المار بروما .

أما ماحدث فى ربيع هذا العام من حوادث هامة حسب ترتيب تواريخها فهو :

١ — اصرار النواب الانجليز على تغيير وزارة تشمبرلن بعد سماع بيانه عن المسألة النرويجية .

٢ — اقتحام ألمانيـا أراضى هولنـدا وبلجيكا ولكسمبورج واستخلاف تشرشل تشمبرلن فى حكومة ائتلافية .

٣ — وقوع أكبر حرب عرفها الغرب وتقدم الغزاة فى كل مكان واستخدام ألفى دبابة فى معركة واحدة .

٤ — انسحاب البلجيكيين عند لوفين — مالين وارتداد القوات البريطانية الى جزيرتهم ونجاح الألمان فى عبور الموند متجهين الى سيدان ثم ضياع خط الموز فى بلجيكا وفتح ثغرة واسعة الى الغرب .

٥ — انقطاع الصلة بين جيـوش الحلفاء فى بلجيكا وقواتها الرئيسية فى فرنسا واحلال الجنرال فيجان مكان جاملان فى القيادة .

٦ — محاصرة مجموعة الجيوش المؤلفـة من ١٥ فرقة فرنسية و ٩ بريطانية وكل الجيش البلجيكى المؤلف من مليون جنـدى وانسحاب الفلول البلجيكية والبريطانية الى دنكرك .

٧ — صـــدور الأمر للجيش البلچيكى بالقاء السلاح وانقــاذ ٢٢٥٠٠٠ جندى انجليزى و ٩٠٠٠٠ فرنسى ووصولهم سالمين من دنكرك الى الشاطىء الانجليزى .

٨ — احتلال الألمان لوادى السوم ووصولهم الى السين وروين. واعلان ايطاليا الحرب وانتقال الحكومة الفرنسية الى تور .

٩ — رفض حكومة فرنسا اقتراح فيجان طلب الهدنة وصدور أمرها باخلاء خط ماجينو والانسحاب جنوبا انسحابا عاما شاملا .

١٠ — اعلان باريز مدينة مفتوحة وانتقال الحكومة الى بوردو واستقالة رينو وتولية بيتان السلطة وطلبه عرض شروط الصلح ثم احتلال نورمندى وبريتانى . وتوقيع الهدنة بين ألمانيا وفرنسا ثم بينها وبين ايطاليا ووقف القتال نهائيا فيما بين هذه الدول .

ما أشد وطأة القلق التى جثمت على صـــدر مصر ، وما أظلم الساعات التى خيمت عليها قضيناها مفكرين فى اشفاق من أن ينال منا النضال القائم فى أوروبا فيقضى على مثلنا العليا بعد سقوط فرنسا بمثل هذه السرعة لأننا كنا نؤمن بقوتها الحربية واعتقدنا أنها درع يحمى أوروبا من الاعتداء النازى وظننا أن الحرب منتهية بانتهاء هذه الدولة الكبيرة . وان العالم قد فتحت أبوابه تستقبل جيوش هتلر دون مقاومة . ولم نأمل فى قدرة بريطانيا على تزعم المقاومة . وكاد يسيطر على عقول الناس فى العالم فكرة وجوب الاستسلام للأمر الواقع .

ومع كل ذلك سلكت مصر مسلكا مشرفا فلم تجزع ولم تيأس بل بقيت تناصر حليفتها لكلمة شرف سبق أن تعهدت بها .

وعملت الصحف المصرية والأجنبية على تهدئة الرأى العام وطمأنته فنشرت المصرى أنها تؤمن بالرغم من تسليم فرنسا بقدرة الحلفاء على المقاومة . ووضحت الديلى تلغراف موقف الحلفاء وقارنته بموقفهم فى الحرب العالمية الأولى وقالت ان تركيا تقف الى جانبهم وان لهم قواعد وحصون أكثر وأقوى مما كان لهم . وان أسطولهم التجارى يجوب أنحاء البحار فى حين اختفت منها سفن ألمانيا .

كانت الدول العربية وعلى رأسها مصر صادقة فى معاونة الحلفاء واعترف بذلك الأرميرال كننجهام قائد أسطول البحر الأبيض

عند ما صرح بقوله ان التعاون الذى تلقاه انجلترا علـى يد مصر سهل كثيرا عملية قوافلها فى البحر الأبيض .

وتأكد هذا التعاون فى حفلة العشاء التقليدية السنوية التى أقامتها كلية فيكتوريا وتمثلت فيها جميع الأحزاب المصرية وذلك عندما خطب السفير البريطانى يقول « ان القدر قد ربط بين مصر وانجلترا برباط المنفعة المتبادلة . وان مصر فى هذا الظرف العصيب فى حاجة بسبب موقعها الجغرافى الى صديق قوى من بين الدول الكبرى . وقد وجدت فى انجلترا ذلك الصديق الذى يحرص على كيانها واستقلالها . وليس صحيحا ما أشيع عن نوايا الانجليز فى مصر باقحام أنفسهم فى سياستها الداخلية أو مطالبتهم بقوات مصرية تشترك فى الحرب بل هو محض اختلاق من دعايات المحور لالقاء بذور الشك والفتنة فنحن مخلصون لمعاهدة التحالف محترمون لحقوق مصر » . ثم خطب الزعماء جميعا مؤكدين صداقة مصر لحليفتها وعزمها على متابعة مساعدتها .

وغضب كونت موتزلينى سفير ايطاليا لهذه المظاهرة وضايقه نجاح السياسة الانجليزية فى مصر — ولسرد خلاصة تاريخ هذا الرجل نقول انه كان محررا فى الصحف الفاشية ثم نقل الى السلك السياسى وقدم الى مصر منقولا من احدى جمهوريات أمريكا الجنوبية فى وقت كانت دولته ترى أنها أحق بانشـــاء امبراطورية كبيرة فى أفريقيا . وهو أحد أركان النظام الفاشى منــذ سنة ١٩١٩ . كثيرا ما بدا فى مدن مصر الكبرى يستعرض فى قميصه الأســـود

الشباب الفاشي ويردد أبواق الدعاية للامبراطورية الرومانية المقدسة.

وهو لم يكن دبلوماسيا ناجحا رغم ما تمتع به من احترام عارفيه لحب أو خوف . تعاونه بطانة بغيضة يؤلف أفرادها جواسيس المحور يسترقون الأخبار . فكان هو وبطانته وسائر ممثلي دول المحور يتآمرون على سلامة مصر فى اجتماعاتهم الخاصة ، ويؤلفون مع أتباعهم الطابور الخامس المخيف الذى قام بأضرار بالغة . ولم يكن من السهل على السلطات تتبع مجهودهم لأن دعايتهم كانت من نوع الهمس . وعندما اقترب الخطر من مصر كان الاتصال وثيقا بين الغزاة والطابور الخامس . ثم مالبث أن تلاشى أثره عندما تحولت دفة الحرب الى مصلحة الحلفاء .

لما تلبدت السحب فى سماء البحر الأبيض جمعت انجلترا قواتها بنجاح أدهش هتلر وموسولينى اللذين خدعتهما تقارير عملائهما فى الخارج باستحالة اشتراك كندا وأفريقيا الجنوبية وأستراليا ونيوزيلندا فى الحرب الى جانب انجلترا . فلما زار مستر أنتونى ايدن وزير خارجية انجلترا مصر لاستقبال أول فوج من القوات الأسترالية والنيوزيلندية فى السويس كان وجوده — وهو من أبطال المناهضين للفاشية — دليلا قاطعا لبرلين وروما على أن أجزاء الامبراطورية تقف متساندة وراء انجلترا .

وقال الوزير فى ترحيبه بهذه القوات وتحيته لها « ... وانى أشاطركم شعور الامتنان لأصدقائنا المصريين وحلفائنا لمساعداتهم القيمة واستقبالهم الكريم لكم فى هذه المناسبة التاريخية . »

كما أكد ان موقع مصر الجغرافى جعل لتعاونها كحليفة لانجلترا مخلصة لتعهداتها قيمة كبرى وتمنى أن يرى مصر قريبا دولة عسكرية قوية تدافع عن نفسها وتنال غاية أمانيها . وقال ان الدولتين ستخرجان من هذه الحرب مبقيتين على صداقتهما عاملتين على تثبيت قواعد قضيتهما فلا تتعرض بلادهما مرة أخرى الى عبث الدول المحبة للفوضى الساعية الى زلزلة السلام فى العالم . ولما رأت روما صدق عزيمة انجلترا فى الاستعداد لمواصلة الحرب قلقت كثيرا ولم تعد صحفها تردد عن الشعب الانجليزى بأنه « عصابة لا خلاق لها كل همها السكر وجمع المال » .

— ٧ —

كانت مصر بعد هبوب عاصفة الأزمة الدولية على البحر الأبيض مركزا لاهتمام العالم كله . ومع ما بدا عليه المستقبل من غموض كان جلالة الملك فاروق الأول وهو فى تلك السن المبكرة يتحمل مسئوليات جسيمة ينوء بحملها ذوو الخبرة والتجربة . ورغم ذلك بقى جلالته والابتسامة لا تفارقه مما ترك أحسن الأثر فى شعبه المخلص الذى يحبه ويبجله ويعجب به ويقدره . وظهر حبه وتقديره فى احتفاله بمولد جلالته العشرينى لأن هذا الشعب الوفى لمليك الوادى رأى فى جلالته الطود الشامخ الذى يودعه آماله والمثل الأعلى لأمانيه والموئل الذى يركن اليه عند الشدائد . ولا عجب فقد ضرب جلالته الأمثــال فى احسانه وبره ومناصرته العلوم والآداب والرياضة وتشجيعه العاملين .

ووضح المغفور له أحمد حسانين باشا رئيس الديوان الملكى سياسة القصر حيال الأحزاب فقال « ان خطة الملك المعظم هى ان جلالته للشعب وان رجال الأحزاب جميعا متساوون ليس لمصرى على مصرى فضل الا بعمل صالح لوجه الله وخير الوطن » .

وحين قدم جلالته من انجلترا على أثر وفاة المغفور له جلالة الملك فؤاد العظيم تنازل فأدلى بحديث من ظهر الباخرة حال وصوله الى الاسكندرية قال فيه « نفتتح اليوم فصلا جديدا فى العلاقات بين القصر والشعب وأول ما نخطه فى هذا الفصل ان المصريين جميعا متساوون أمامنا » .

حل شهر مايو يحمل الكوارث التى نزلت بهولندا وبلچيكا وفرنسا ومع أن الأخطار كانت بعيدة عن البلاد الا أن مصر أصبحت محطة عالمية شهدت كثيرا من زيارات الشخصيات الدولية العظيمة العابرة والمستقرة كالدبلوماسيين الأحرار الذين واصـلوا تمثيل بلادهم بعد احتلالها ونجحوا فى عملهم وضحوا تضحيات نبيلة يشهد لهم بها التاريخ .

وفى ذلك الوقت اجتمع الوفد المصرى وقرر مطالبة انجلترا بسحب جيوشها من البلاد حال انتهاء الحرب وبدعوة مصر فى مؤتمر الصلح وبعقد اتفاق بين البلدين تعترف فيه انجلترا بحقوق مصر فى السودان وبالغاء الأحكام العرفية وتسهيل سياسة تصدير القطن الى الأسواق المحايدة .

تتبعنا حوادث أوروبا الجسام واستعرضنا مانشرته الصحف من وصف الحرب بأنه أكبر معارك التاريخ .

وازاء خطر الغارات الجوية اتخذت الحكومة اجراءات معينة . فأمرت بمنع تسرب الأضواء من المنافذ والسيارات ، وعممت حالة الاظلام فى المدن فلم تكن معالم الشوارع تتبين لأكثر من بضعة أمتار ، وجهزت زمارات الانذار وأنشأت المخابىء ، ووضعت المطارات والمحطات والقناطر والكبارى تحت حراسة دقيقة مستمرة . وأصدر البرلمان قانونا بالضرب على أيدى الجواسيس والعابثين بأمن الدولة . وأنشئت معسكرات الاعتقال . ومنع تصدير رؤوس الأموال المصرية والأجنبية . وأخرج من البلاد كثيرون من الايطاليين من بينهم فيروتشى بك كبير مهندسى القصور الملكية .

وبدأت بلجيكا وفرنسا ثم انجلترا تجند رعاياها فى مصر وتدربهم وترحلهم الى أوروبا للاشتراك فى ميادين القتال .

كان الحلفاء يعقدون الآمال على قيادة الجنرال جاملان العامة ولكنه مالبث أن تخلى عن منصبه للجنرال فيجان . وقد حمل بول رينو على هذا القائد حملة شعواء فى محاكمة ريوم وألقى تبعة هزيمة فرنسا عليه وعلى سائر القواد .

ولكن عند التعليق على مسألة كهذه لا بد أن نقرر عجز أى قائد مهما بلغت عبقريته عن صد تيارات الدبابات الألمانية وطائرات

ستوكا التى تدفقت على فرنسا فى كثرة وسرعة عجيبتين . ولم يكن من الحكمة صمود المشاة الفرنسيين لفرق البانزر الجبارة تحصدهم حصدا . وكلنا عرف ما كانت تعانيه جيوش فرنسا وانجلترا من قلة فى الأسلحة والاستعداد ولولا بحر المانش لما سلمت بريطانيا هى الأخرى من براثن هيتلر . فنقص أسلحة الجيش الفرنسى وتفوق ألمانيا الحربى الساحق هما سر هزيمة فرنسا بهذه السهولة .

قابلت مصر سقوط هذه الدولة بشعور عام من الألم والأسف عبر عنه سعادة محمد حسين هيكل باشا بمقال قال فيه « لاشك ان دخول القوات الألمانية باريز كان من بواعث الأسف الشديد الذى طغى على شعور المصريين خصوصا أولئك الذين أحبوا فرنسا وفهموا روحها النبيلة المحبة للسلام والتى جاءت للعالم بأقصى ما تحلم به الانسانية من مبادىء الاخاء والحرية والمساواة ونشرت على ربوعه خلال الأربعة قرون الأخيرة آدابها وفنونها التى هى على أكبر جانب من الروعة والجمال . ونحن نشفق على تلك الروح من أن يزلزلها ذلك الحادث السياسى المروع ونخاف عليها من أن يقضى عليها اليأس أو تشوهها الرغبة فى الانتقام .

ان ريحا باردة عاتية هبت على زهرة لطيفة معطرة غالبا مانشرت أريجها الحلو على الانسانية تحمله أجنحة نسيم جميل . وأملنا أن تظل فرنسا وباريز سحابة من هدوء وصبر لأن الزمان قلب يحمل فى ثناياه الأيام السود والبيض على السواء والتاريخ ناطق بصدق ذلك والرجال يتغيرون والدول باقية . وأملنا قوى بعودة النصر والحرية للفرنسيين وفرنسا » .

ظل نجم هتلر يرتقى صعدا فانتصر فى أكبر معارك أوروبا عندما القى الجيش البلجيكى سلاحه بأمر من الملك ليوبولد . وتملك الناس دهشة مصحوبة بجزع من هذا التسليم . وتسرب اليأس الى قلوب الجالية البلچيكية لأنها لم تجد لهذا التسليم وقتئذ سببا معقولا . ولكن الأيام مالبثت أن برهنت على أن الملك كان مضطرا الى ما فعل دون أن يبدر منه اخلال بالشرف أو خيانة لحلفائه . فقد أبلغهم بنيته بكافة الوسائل بعد أن تحرج موقفه وبذل لجيوشهم المنسحبة كل مساعدة ممكنة وأبى مفاوضة الألمان وشارك جيوشه مآلها .

ثم صرحت الحكومة الانجليزية بلسان وزير خارجيتها مستر ايدن بقولها « انقشع الغموض الذى أحاط بموقف الملك ليوبولد عندما تبين انه واصل القتال الى حد رأى فيه عدم فائدة سفك الدماء . وقد شارك جيشه مآله واحتفظ بشرفه ورفض مفاوضة أعدائه . والملك اذ يستحق تقدير شعبه وحبه يعد رمزا لحقوقه وحرياته المستقبلة » .

وأشاعت روما وبرلين أن مصر تستشيرهما فى موقفها ورد روتر على ذلك فابرق مراسله فى لندن معلقا على مسألة الدفاع عن مصر بقوله « صرح رئيس الحكومة المصرية عقب ارفضاض مجلس الوزراء من اجتماعه الأخير بأن مصر واقفة الى جانب حليفتها موقفا تمليه عليها روح المعاهدة » .

فى تمام الساعة السابعة من مساء ١٠ يونيه جلس كل مصرى الى المذياع يستمع الى خطاب موسولينى الخطير باعلان ايطاليا الحرب جاء فيه « ... وليس فى نية ايطاليا أن تجر فى أذيال النضال جاراتها سويسرا ويوغوسلافيا واليونان وتركيا ومصر . ويتوقف هذا على مسلك تلك الدول » .

وقلق الرأى العام وساور البلاد خوف بتأثير دعاية المحور . وتلقى رئيس الحكومة النبأ وهو فى مجلس الشيوخ فأسرع الى مكتبه بمجلس الوزراء حيث قابله كونت موتزلينى فسلمه نص الخطاب . كما استقبل رفعته سفير بريطانيا وعلى الأثر أعلنت الحكومة قطع العلاقات السياسية بايطاليا وأذاع رفعته البيان التالى على الصحف « أظهرت مصر منذ اعلان الحرب فى سبتمبر الماضى اخلاصها لتعهداتها وترقبت تطور الموقف الدولى بعين الحكمة والحذر بحيث سارت الحياة فى البلاد هادئة طبيعية ... أما وقد أعلنت ايطاليا الحرب على بريطانيا وفرنسا فقد تطور الموقف وأصبح على مصر مسئوليات أضخم مما كانت . وعلى سكان البلاد أن يطمئنوا الى أن حضرة صاحب الجلالة الملك وحكومته والبرلمان عاملون جميعا على توفير سلامتهم والسهر على مصلحتهم لا يحول حائل دون بلوغ غايتهم . واننى أهيب بهم أن يتذرعوا بالهدوء والحكمة حتى تمر الحوادث المحزنة التى بعثت الشقاء والبؤس فى العالم بسلام » .

وتبعا لشروط المعاهدة قطعت مصر علاقاتها السياسية بايطاليا وسلمت سفيرها جواز سفره وطالبت رعايا ايطاليا بتسجيل اسمائهم ومحال اقامتهم وصادرت أملاكهم .

وأصدر المجلسان التشريعيان قرارا « بالموافقة على سياسة الحكومة بتقديم كل مساعدة ممكنة الى الدول الديموقراطية المناضلة فى سبيل العدالة والحرية » .

وكذبت الحكومة بشكل قاطع دعاية المحور باشاعة مطالبة انجلترا مصر باعلان الحرب على ايطاليا .

ثم قام خلاف بين رئيس الحكومة والسلطات البريطانية أعلن على أثره استقالته وخلفه فى الحكم المرحوم دولة حسن صبرى باشا .

فى اليوم الذى طلب فيه بيتان الهدنة اذاع مستر تشرشل على العالم خطابا قال فيه « أخبار فرنسا هذا المساء على أكبر جانب من السوء . وأسفنا شديد للنهاية المحزنة التى وصل اليها الشعب الفرنسى ولكن لن يغير ذلك شيئا من عطفنا على الفرنسيين وايماننا بامكان نهوض فرنسا من كبوتها . وهاهى بريطانيا تقاتل وحدها ومن حولها الامبراطورية دون أن يتسرب اليها اليأس أو ينتابها الشك فى الايمان بالاتجاه الخاتمة فى مصلحة الدول الديمقراطية » .

ومهد سقوط فرنسا لايطاليا حرية العمل وسهل لها الهجوم على مصر . وذلك لأن موقف بريطانيا فى الشرق الأوسط تغير فلم تعد تعتمد فى الدفاع ضد ايطاليا على القوات الفرنسية والأسطول والقواعد الفرنسية الجوية فى البحر الأبيض لاسيما سواحل افريقيا الشمالية .

وبعد أشهر علق تشرشل على الموقف فى الشرق الأوسط فقال « واتت الفرصة جيش ايطاليا فى ليبيا بعد سقوط فرنسا لما كان أكثر من قواتنا عددا وعدة فكان من السهل عليه الاندفاع الى وادى النيل والسويس دون مقاومة ولكنه لم يفعل . وبذلك اتيحت الفرصة لقواتنا على حدود مصر والسودان لتتقوى وتتضخم وتحتفظ بمواقعها الهامة بصورة تدعو للرضاء . ومما يبعث على الاطمئنان نتائج مناوشاتنا وغاراتنا وهجومنا المفاجىء عليه برا وجوا حتى لقد بلغت نسبة خسائره لخسائرنا ٢٠ الى ١ .

ومن البيان الذى ألقــاه موســولينى عن قواته فى ليبيا فى نهاية ١٩٤٠ تعلم أن القوات والمعدات التى بعث بها بلغت ١٤٠٠ ضابط و ٤٠٠ ألف جندى و ٢٠٠٠ مدفع ميدان و ١٥٠٠٠ مدفع ميكانيكى و ٢١ مليون قذيفة و ١,٥ مليون صندوق ذخيرة و ١٣٠ طن من مواد الحرب و ٨٠٠ دبابة و ١٠٠٠٠ سيارة . فى حين كانت القوات البريطانية لا تتعــدى ٧٠٠٠٠ جنــدى بين بريطانى ونيوزيلندى وهندى .

ومع ذلك نشط السلاح الجوى فى الدفاع والهجوم . وتغلبت الروح المعنوية العالية التى اتصفت بها القوات البريطانية على الجيش الايطالى برغم الكثرة فى عدده وعدته .

وذكر رفعة على ماهر باشا فى كتاب استقالته أنه حــرص فى سياسته على تأمين مصلحة الشعب وعمل على تخطى الأزمة المحيطة بالبلاد والوصول بها الى بر السلام . ولكن بقاءه فى الحكم استحال لأسباب خارجة عن ارادته وارادة الشعب .

وأخذ عليه معارضوه رغبته فى السلطان المطلق وقعوده عن استشارة أعضاء الجبهة الوطنية فى جلائل الأمور وتجاهله مركز الوفد المصرى بدعوى عدم اشتراكه فى الحكم .

وعندما تولى الوفد الحكم برر رفعة النحاس باشا سبب اعتقال رفعة ماهر باشا فقال : « ان سلامة الدولة اقترنت باسمه فاتصلت به للتفاهم على تفادى ما قد يحدث . واتفقنا على أن يكف عن نشاطه السياسى ويقيم فى قريته . فلما لم ينفذ الاتفاق وبارح الريف الى

القاهرة اضطررت الى اعتقاله وهو يبارح مجلس الشيوخ . وأبى رئيس الحكومة افشاء الأسرار التى استوجبت الاعتقال الذى لجأ اليه مضطرا .

تألفت وزارة حسن صبرى باشا فى ٢٧ يونيه سنة ١٩٤٠ من المستقلين والسعديين والدستوريين ومن الحزبين الوطنى والشعبى. ولم تعمر لموت رئيسها بسكتة قلبية أثناء تلاوة خطاب العرش فى يوم ١٤ نوفمبر من ذلك العام .

وتتلخص سياستها فى المدة القصيرة التى حكمها فى تأمين سلامة البلاد الداخلية وحماية الاقتصاد الوطنى وتنفيذ تعهدات مصر لحليفتها. ومن المسائل الوطنية الهامة التى أنجزتها الغاء صندوق الدين بعد أن عمر ٦٤ عاما ، وتنفيذ الاتفاقية المصرية الانجليزية بشراء محصول القطن بثمن معتدل . كما تم فى عهدها تثبيت مقطوعية استهلاك البترول وتشديد الرقابة على الأجانب وأحكام تنظيم مسائل التموين .

ووصفت التيمس وفاة رئيس الحكومة وذكرت أنها حرمت الانجليز من صديق مخلص والمصريين من سياسى يقظ .

فى ذلك الوقت أخذ الانجليز يضايقون القوات الايطالية التى بدأت تستعد لهجومها الكبير . ولقى المارشال بالبو حتفه بسقوط طائرته فوق طبرق فى حادث غامض اعتبره الكثيرون نذير شؤم على الامبراطورية الايطالية . وتجدد فى عقب هذا الحادث نشاط الأسطول البريطانى فأغرق كثيرا من سفن ايطاليا الحربية الكبيرة وواصل ضرب الساحل الليبي .

وكثرت حوادث الثورات فى ليبيا وأثيوبيا فقتل فيها كثير من أفراد الجالية الايطالية الفاشيين انتقاما لقسوة جرازيانى فى معاملته للسكان خصوصا عند قضائه على ثورة فازان حتى لقد لقب بالجزار .

فكر هتلر بعد هجومه الناجح على بلجيكا وفرنسا فى سحق الجيش الفرنسى والاستيلاء على الأسطول تمهيدا للهجوم على انجلترا بحرا وجوا عن طريق القناة الانجليزية والمحيط الأطلسى معتمدا فى ذلك على المفاجأة . وكان على ايطاليا بالطبع أن تلعب دورها فى هذا البرنامج فوكل اليها سحق الأسطول البريطانى فى البحر الأبيض وغزو مصر ووصل قوات جرازيانى فى ليبيا بقوات الدوق داوستا حتى اذا تمت تصفية امبراطوريتها فى أفريقيا تقدمت ايطاليا بقواتها الى العراق وايران والهند فاحتلتها .

ولكن هذا الحساب لم يكن الا مجرد حلم . فقد سلم جزء من

الأسطول الفرنسى للحلفاء وما تبقى منه أغرق أو نزع سلاحه أو حوصر . ولم يجرؤ الأسطول الايطالى على منازلة خصمه أو يحول دون ضرب قواعد ليبيا .

وتحولت الجزر البريطانية فيما بين يونية وأغسطس سنة ١٩٤٠ الى ترسانة لا تكل تواصل العمل ليلا ونهارا . واتحدت كلمة الأمة الانجليزية بزعامة مستر تشرشل فى تركيز مجهودها الحربى مستعينة بالعبقرية الخالصة والتنظيم الحسن والثروة الضخمة والصناعة المتينة وزهرة الشباب . فلما أطلق هتلر لطائراته العنان على سمائها تصب الدمار بشكل لم يألفه التاريخ استقبلتها فى كثير من الاستعداد وألقت على الديكتاتور المنتصر أول درس عرفه فى الهزيمة فأسقطت فى الخمسة أيام الأخيرة من أغسطس ثلثمائة من طائراته .

وبذا فشل حرب النازيين الخاطفة . وانبثق للحلفاء فجر من أمل انتهاء عهد الديكتاتورية وذلك لأن ألمانيا ، وقد كانت فى حذر دائم من هجوم روسى مفاجىء عليها ، استبقت نحو نصف قواتها الجوية واكتفت بارسال كميات محدودة من هذا السلاح الى سماء انجلترا والامبراطورية وبذلك خف الضغط عليهما واستطاعتا المقاومة .

وكان عجز الأسطول الايطالى عن العمل من عوامل ضعف المحور الذى ضرب عليه الحصار البحرى باحكام فلم يكن حرا فى استيراد ما هو فى حاجة اليه من مواد أولية لازمة فى أوقات الحروب . وازداد موقف أمريكا العدائى من المحور فخصت انجلترا بكثير من العتاد الحربى الذى أرسلته الى أوروبا . وتدرجت قوة بريطانيا يوما بعد يوم فى أفريقيا حتى هددت مركز ايطاليا خصوصا بعد انضمام المستعمرات الفرنسية الى الجنرال ديجول .

هل فكر هتلر حقيقة فى غزو انجلترا ؟ نعم فكر وقام بمحاولة انتهت بالفشل فقد عثر رجال الصليب الأحمر البلجيكى على آلاف جثث الجنود النازيين المحروقة طافية عند الشاطىء البلچيكى. وتلقوا مئات الجرحى والمصابين بحروق شديدة لاسعافهم فى مستشفيات بروكسل . وذكر بعض هؤلاء الجرحى تفاصيل حادث الغزو فقالوا انهم استقلوا سفنا مختلفة حتى اذا ما كانوا فى عرض البحر قيل لهم أنهم مقبلون على غزو انجلترا . ثم مالبثوا أن شاهدوا فجأة القناة الانجليزية تتحول الى أتون من نار بعد اشعال الزيوت المحرقة التى سكبت بكثرة فى مياهها ، ورأوا الطائرات الانجليزية تحوم فوقهم وتصب عليهم حمما من القنابل المدمرة والحارقة .

ولو أننا أضفنا الى هذا الفشل نجاح الانجليز فى الصمود للهجوم الجوى على الجزيرة وخصوصا على العاصمة وفى الدفاع عن بلادهم حتى لقد بلغت نسبة ما أسقطوه من الطائرات المغيرة فى يوم واحد ٥٠٪ لا نلبث أن تفيض أنفسنا اعجابا بهذا الشعب الذى لم يتسرب اليأس الى قلبه رغم شدة الوطأة ، وأن نتذكر بموقفهم قصة الأوديسيا وأبطال قدماء الاغريق .

وربما يرجع هذا النجاح الباهر الى الفردية الانجليزية التى خلقت عظماء الامبراطورية ومؤسسى المملكة المتحدة الذين أنكروا ذاتهم ولم يأبهوا للموت بل ضحوا بأنفسهم فى سبيل مجد وطنهم .

ورب قائل ان للفردية الانجليزية عيوبها . فالفرد يشعر بأنه وحدة بذاته لا يهمه فى الظروف العادية التعاون مع غيره . وغالبا ما ينتج عن ذلك عدم الكفاية الحربية فى انجلترا لقلة تضافر الجهود فى وقت السلم . ولكن هذا الفرد اذا ما وجد الخطر يهدد كيان بلاده أو رأى وطنه فى مفترق الطرق أو تاجه فى خطر سرعان ما يتقبل التعاون ويدهش العالم بخارق فعله .

بدأت ايطاليا فى منتصف سبتمبر بهجومها الذى استعدت اليه من يونيه فتدفقت قواتها على الحدود المصرية حتى وصلت الى سيدى برانى واستقبلها السلاح الجوى البريطانى وأوقع بها خسائر جسيمة . وتعرضت المراكز الايطاليـــة على طول الساحل الليبي لضربات قوية من الأسطول .

وانتقد النقاد سرعة زحف جرازيانىوتنبأوا له بالحرج الذى كان ينتظره والذى انتهى بكارثة محققة . وتضافرت مع خطأ السرعة عوامل الطبيعة واستعداد القوات المدافعة بعد تلقى الامدادات الوفيرة من الرجال والعتاد . واستهدفت سيارات النقل والسيارات المسلحة وهى فى رتلها الطويل لقنابل الطائرات المستمرة . ولم تكن الروح المعنوية العالية من صفات الجيوش الزاحفة كما كانت الحال فى الجيوش المدافعة . وتعرض الغزاة لأمراض الملاريا والدسنطاريا ولوحظ على أسراهم الاجهاد وكثرة السعال .

أثار الزحف الايطالى على مصر واحتلال السلوم وسيدى برانى مسألة معقدة هى وجوب اعلان المملكة المصرية الحرب على ايطاليا .

وكانت سياسة الدولة تقضى منذ بداية الحرب بعدم اشتراك الجيش المصرى فى القتال الا اذا اعتدى المحور على مرافق البلاد الوطنية أو هددها فصرحت الحكومة بأن تقدم الغزاة لايغير شيئا فى سياستها .

ولقى هذا التصريح معارضة فى جهات معينة . فصرح سعادة أحمد عبود باشا بأن السياسة الحكومية وليدة خطأ فى التفكير . وعاب على الحكومة اخفاء حقيقة الموقف عن الرأى العام . وقال ان ذلك يجعله غير ملم بالحالة الماما صحيحا والا لطالب بالدفاع عن الوطن . كما نشرت الصحف للأستاذ حسن الجداوى نائب السويس مقالا جاء فيه « ان السلوم وبقبق وسيدى برانى وكل حفنة من صحراء مصر هى فى نظر المصريين جزء من الوطن الذى يقدسونه . فلا سبيل اذن الى الضن بدمائنا دفاعا عن قدسيته » .

وتحمس المرحوم الدكتور أحمد ماهر باشا لفكرة اعلان الحرب على المحور . فذكر فى خطاب ألقاه فى المنصورة بصفته رئيسا لمجلس النواب وزعيما للحزب السعدى « ان كل من يقتحم حدودنا ويهاجم أطفالنا ويهدد كياننا هو عدو لنا . وقد هاجمنا الطليان فوجب على كل مصرى أن يهب للذود عن بلاده بكل ما وسعته القوة والحيلة . حقيقة ان لنا صديقا قويا ولكن لا يليق بنا الاعتماد عليه وحده فى الدفاع عن أنفسنا » .

ونشأ عن مسألة دخول أو عدم دخول الحرب نزاع بين الزعماء انتهى الى أن بعث ماهر باشا انذارا لرئيس الحكومة القائمة حسن

صبرى باشا بسحب ثقة حزبه ان لم يبادر بالتصريح بوعد الحكومة اتخاذ اجراءات عملية فعالة للدفاع عن البلاد . ورفض الرئيس انذار المعارضة . وقرر مجلس الوزراء الذى لم يحضره وزراء الحزب السعدى « سياسة الانتظار والارتقاب » . ثم استقال أعضاء الوزارة السعديون فى ٢١ سبتمبر « لأننا لا نرى مبررا لسياسة التردد فى الدفاع عن البلاد » وتلقوا رد المجلس بقبول الاستقالة « ... وبأنكم قدمتم اقتراحا على أكبر جانب من الأهمية طالبين دون فائدة ترجى اعلان الحرب التى لا يقرها الرأى العام . وقد قوبل اقتراحكم بالرفض لأن الحكمة تقضى بالتروى . وستبقى سلامة الوطن دائما هدف الجميع » .

ونشر لدولة صدقى باشا مقال جاء فيه « لقد بالغ سعادة رئيس الحزب السعدى فى مطلبه . ان الحرب تقع بين دولتين على أرض دولة ثالثة تحتلها احداهما وعلى ذلك فالقول بأن الاعتداء موجه الى مصر غير صحيح . والمصريون لا تنقصهم الوطنية بل هم مستعدون للذود عن حياض بلادهم . ولكن الهجوم الايطالى لم يصل الى حد يهدد مدننا أو قواتنا العسكرية اذ لا شأن لنا بهذه الحرب . ويجب عند تعريض البلاد لأخطار الحرب قبل الأوان التفكير فى مبلغ ما يلحقها من دمار دون مبرر أو فائدة تجنيها الحليفة . ومصر بفضل قوة هذه الحليفة وسيطرتها على الموقف فى أمان تام ، وهى لها بمثابة حجر الزاوية فى الامبراطورية الواسعة . ومع ذلك فعندما يجد المصريون وطنهم فى كفة الميزان فانه لن يحول حائل دون قيامهم بواجب الذود عن حياضه ابقاء عليه لهم وللأجيال من بعدهم » .

ومع معارضة جميع الأحزاب لفكرة دخول الحرب بقى ماهر باشا على رأيه لا يحيد عنه ولكنه لم ينجح . وكان آخر ما فاه به المرحوم حسن صبرى باشا وهو يلقى خطاب العرش « وقد قررت مصر فى هذه الحرب التى لا تعرف الرحمة أن يكون موقفها موقف حكمة وأناة مع تنفيذ تعهداتها للحليفة وارتقاب لسير الحوادث فى ثقة بنفسها وحرص على استقلالها وتاجها واستعداد لمجابهة الخطر » .

وتوالت الغارات الجوية واشتدت فى الاسكندرية ومنطقة السويس ، وقدمت مصر احتجاجات شديدة . وسعى الحلفاء لاعلان القاهرة مدينة مفتوحة . فلما كانت الغارة الكبرى على العاصمة واحتجت الحكومة المصرية أعلنت كل من ألمانيا وايطاليا بأن طائراتهما لم تقصد قلب العاصمة بل كان هدفها المناطق العسكرية الانجليزية حول مصر الجديدة .

- ١٣ -

عندما اشتدت مقاومة لندن لغارات الطائرات النازية طلب جورنج من ايطاليا الاشـتراك فى ضرب المدن الانجليزية وصرح موسولينى بأن « لسلاح ايطاليا الجوى شرف الاشتراك فى غارات ألمانيا المدمرة على انجلترا » .

وفى منتصف أكتوبر قررت واشنجتون مد « الدولة الصديقة » روسيا بالعتاد الحربى فكان لهذا القرار تأثير قوى فى العالم كله .

وعندما فشلت ايطاليا فى احتلال اليونان بالسرعة التى قدرتها ضاعت منها المواقع الاستراتيجية الهامة فى البحر الأبيض وهى التى كانت تؤدى حتما الى عرقلة الاستعداد الضخم الذى قام به الحلفاء دفاعا عن وادى النيل .

وقبل مواصلة سرد حوادث القتال فى الميدان الليبى نناقش الأزمة الفرنسية فى ذلك الوقت فنعرض فصلا محزنا من فصول الحرب العالمية الثانية . فقد انقسمت فرنسا بعد طلب الهدنة الى قسمين أحدهما تحتله ألمانيا والآخر حر يتألف من مستعمرات فرنسا فى الليڤانت .

سارت الحوادث التى أدت الى الهدنة فى يونية مسرعة فاستحال تكوين فكرة صحيحة عن الحالة لغموض الأخبار وتناقضها . وظن الناس حين استسلم المارشال الشيخ للأمر الواقع انه لم يكن ينوى

التدخل فى شأن الامبراطورية الفرنسية بل يترك أمرها للقواد أمثال فيجان ومتلهاوزر ونوجس وغيرهم يواصلون فيها الكفاح . ولم تكن فرنسا المحتلة تعبر عن الرأى الفرنسى العام بل كان يعبر عنه فرنسا الحرة التى تسيطر عليها القوات الفرنسية غير المستسلمة . واعتقدوا أن الحرب بالنسبة لفرنسا لم تكن منتهية بل مستمرة .

لذلك أذاع ديجول من انجلترا على مواطنيه عندما علم بمأساة فرنسا البيان الآتى « لقد خسرت فرنسا معركة واحدة ولكنها لم تخسر الحرب نهائيا . وقد يستسلم بعض رجالها الرسميون للآلام ، ويتساهلون فى حق بلادهم واستعباد وطنهم . غير ان الحرب التى تخوضها فرنسا حرب عالمية لم تلعب قواتنا العديدة المنتشرة فى أجزاء الامبراطورية دورها بعد . فعلى جميع الفرنسيين أن يضحوا ويشاركونى الأمل فالوطن فى خطر لا سبيل الى انقاذه الا بالدفاع المجيد عنه . »

وأذاع بيانا آخر على جنود الامبراطورية حثهم فيه على مواصلة القتال الى جانب الحلفاء وذكرهم بأن من تحدثه نفسه بالقاء سلاحه فهو خائن .

ونشطت الجالية الفرنسية فى مصر وأهابت بالقواد الفرنسيين بمواصلة جهودهم الحربية لانقاذ شرف فرنسا وأعلنت أن أفرادها تحت تصرفهم يوجهونهم فى القتال كيفما يشاءون .

غير أن بيتان أذاع من جهته على الفرنسين فيما وراء البحار بيانا تودد فيه اليهم وطالبهم بالخضوع لشروط الهدنة وذكرهم بتفوق

ألمانيا الساحق فأدخل اليأس فى قلوبهم . وأكد لهم انه ما طلب الهدنة الا لينقذ الموقف ويحفظ الشرف للوطن ثم وصاهم بالصبر وضبط العاطفة .

ونفذت كلماته الى قلوب كثيرة كان أصحابها يتطلعون الى بيتان وكأنه أب لهم فقد كان لاسمه شهرة سحرية عجيبة ولعصا المارشالية ولذكرى فردان تأثير مخدر . لذلك كان تأثيره قويا فى اخضاع فرنسا وجزء من الامبراطورية لألمانيا . ولكن ديجول انبرى له يفند آراءه ونظرياته ويحول عنه أنصاره .

ويرجع موقف فيشى ومبلغ شرعيته الى شخصية بيتان دون شيء آخر لما كان يتمتع به من احترام بالغ بين الفرنسيين فلولاه ما كانت حكومة فيشى . وستبقى شخصيته مسئولة عما حدث أمام التاريخ اذ هو الذى أوحى لأمثال هتزنجر ودارلان ونوجس من أصحاب السلطان المدنى والعسكرى فكرة الخضوع لفيشى وقد تلقوا الأمر على أنه « رغبة فيشى » .

ألف الجنرال شاديك دى لافالاد القائد العسكرى المشهور فى الحرب العالمية الأولى كتابه « بيتان ؟ » وأشار فيه الى تقارير كتبها عنه المارشالان فوش وجوفر والرئيسان كليمانصو وبوانكريه تتلخص فى أن بيتان يمتاز كضابط بحاسة فنية قوية ودراية تامة بالتفاصيل العملية وذكاء وقدرة على التنظيم والترتيب . ولكن هذه الصفات يشوهها أحيانا شعور بالتشاؤم ونقص فى الخلق وتخاذل عند تحمل المسئوليات مما يجعله غير صالح للقيادة العامة .

فالشخصية التى كان يتمتع بها بيتان هى التى جعلت منه رئيسا للدولة الفرنسية فى المدة بين ابرام الهدنة وانهزام ألمانيا . وقد اضطرت بريطانيا والولايات المتحدة والفـاتيكان الى الاعتراف بحكومته لأسباب سياسية بحتة .

ونتج عن الهدنة بعض الحوادث المحزنة اذ اضطر الأسطول البريطانى الى مهاجمة السفن الحربية الفرنسية فى أوران لأن بريطانيا وهى فى حرب حياة أو موت مع ألمانيا كانت تحرص على عدم وقوع الأسطول الفرنسى فى يد عدوها . وتلقت السفن الحربية الفرنسية الراسية فى الاسكندرية أمرا من فيشى بخروجها من الميناء ولكن قائدها قبل بعد مفاوضات مع الحلفاء بقاءها فى حالة غير محاربة . وكان من أثر موقف الأسطول البريطانى من هذه السفن أن قطعت فيشى علاقاتها الدبلوماسية بلندن ونتج عن ذلك ثغرة عميقة بين الفرنسيين الأحرار واخوانهم المستسلمين . وأثيرت مناقشات حول موقف قناة السويس بعد قطع هذه العلاقات ولكن المسئولين عن ادارتها قرروا التعاون مع السلطات البريطانية الى النهاية .

بعد انقضاء شهر على اعلان الهدنة تألفت فى القاهرة جمعيـة فرنسية وطنية وقررت مواصلة النضال دفاعا عن الديموقراطية كما عملت على السعى الى التأليف بين جميع الفرنسيين وكانت سياستها عدم مناقشة الهدنة أو الحكم بشىء على الذين سعوا اليها بل العمل بكل ما يعود بالفائدة على فرنسا . وألفت الفرقة الفرنسية المحاربة فى الشرق وأنشأت مكاتب لها فى مدن مصر الكبرى وقامت بالدعاية اللازمة عن طريق الصحف ودار الاذاعة .

ومن أقوال مسيو اميل مينوست أحد كبار مؤسسيها : ليس لفرنسا القوية أن تستسلم أو تيأس لأن هتلر قوى أو منتصر ، فالقوة لا تكون الا فى جانب الحق ، وايماننا بقوة حقنا ثابت لا يتزعزع .

وقد ساعدت الجمعية الجنرال كاترو على تأليف القوات الفرنسية الحرة البرية والبحرية والجوية وكان لأعمالها أثر واضح فى معارك الحبشة والصحراء وسوريا .

— ١٤ —

فى صباح ٢٦ أكتوبر الباكر اقتحمت الجيوش الايطالية الأراضى اليونانية وذلك بعد أن توجه مسيو جراتزى وزير ايطاليا فى أثينا الى دار الجنرال متكساس رئيس الحكومة فى فجر ذلك اليوم وأيقظه من نومه وسلمه مذكرة صيغت فى اسلوب شديد اللهجة اتهمت فيها الحكومة الفاشستية اليونان باتباع سياسة الارهاب حيال الألبانيين فى تسموريا وبالخروج عن الحياد الذى لم يعد الا مجرد مظهر .

وطالبت المذكرة ضمانا لبقاء حياد اليونان بحق احتلال مواقع استراتيجية معينة طوال فترة الحرب وهددت فيما اذا رفض الطلب أو قامت الحكومة اليونانية بعمل يعرقل الاحتلال بتحميلها تبعة موقفها .

ولم يجزع متكساس فقد كان متمتعا بثقة ملكه معتمدا على تأييد الشعب بل أجاب الوزير وهو يشيعه الى باب داره بأن اليونان ستقاوم أى اعتداء عليها .

وكان لهذه الاجابة أثر سيىء فى روما فاستدعت جراتزى وأنبته على فشله فى اقناع رئيس حكومة اليونان بتمثيل دور « هاشا أو انكوارت » فى خيانة بلده وعلى عجزه فهم حقيقة قوة اليونان العسكرية ومبلغ استعدادها الحربى ثم أقالته من منصبه .

دافع الجيش اليونانى عن بلاده دفاعا اثار اعجاب العالم ، وأظهر الفاشستية فى لباسها الحقيقى بعد أن نزع عن جيوشها الغازية ، ذلك اللباس البراق الذى كانت تختال فيه وتخفى تحته عجزها الحقيقى مدة طويلة .

وأصدرت الحكومة اليونانية كتابا أبيض هتكت فيه ستر السياسة الفاشية وذكرت أن روما كانت تمهد منذ احتلالها ألبانيا لتوسع شامل فى الشرق وان رغبتها فى احتلال اليونان هى تنفيذ لسياستها فى الاستيلاء على كرواتيا ودلماشيا وجزر البحر الأبيض والشرق الأدنى . فبدأت هذه السياسة باعلان حرب أعصاب قوية على الشعب اليونانى . وأغرقت قبل الحرب السفن الحربية اليونانية واعتدت عليها .

وكانت خطة روما أن تفاجىء اليونان قبل أن تستعد فينقض الجيش الايطالى على أبيروس ويتقدم منها مسرعا على طول نهر كالاماس . ونيط بالجنرال فيسكونتى براسكا تنفيذ الخطة . ولكن القوات اليونانية تمكنت بعد أسبوع واحد من طرد الغزاة الى ما وراء اقليم بندوس فى ألبانيا ثم أرغمتهم على التراجع على طول الساحل الألبانى فأقيل فيسكونتى ومن بعده الجنزال اوبالدو سودو ثم الجنرال كاقاليرو .

وساعد على هزيمة الايطاليين فى اليونان ما أوقعه الأسطول البريطانى بالسفن الفاشستية فى معركة تارانتو المشهورة فأغرق منها الكثير وأصاب معظم الباقى . فترك ذلك العمل أثرا ملحوظا فى توازن قوة البحر الأبيض ومن ثم توازن القوى البحرية فى العالم .

وأخذت الجالية اليونانية فى مصر على عاتقها كثيرا من الأعمال فألفت فرقة مقاتلة وساهمت فى المجهود الحربى وجمعت الأموال لمساعدة الجرحى من الجنود .

وبينما كان القتـــال يسير فى مصلحة اليونانيين قامت القوات البريطانية فى مصر بهجوم مضاد على الجيش الايطالى الذى وصل فى تقدمه الى سيدى برانى . ونكل الجنرال ويفل بهذا الجيش فقضى على ١٥٠٠٠٠ جندى هم قوامه فى شرق ليبيا ثم تيسر له التقدم ففتح برقه وأنقذ القبائل العربية من قسوة الحكم الايطالى الذى ظلت تعانيه زهاء ثلاثين عاما .

وباندحار القوات الايطالية سلمت مصر من التهديد وتحولت بنغازى الى نقطة استراتيجية هامة أفادت الحلفاء فى شرق البحر الأبيض .

تساءل الناس عن سر هزيمة الفاشست المزدوجة فى البانيا وليبيا وكان الظن أن الجيش الايطالى شديد القوة لكثرة ما كانت تردده عنه الدعاية فى روما .

كيف أمكن لهذه القوات أن تنهار هكذا ، وأن تكون نقطة ضعف فى قوة المحـــور مع أنهـــا أظهرت بعـــد تسليم ايطاليـــا للحلفاء مقدرة وكفاية عند اشتراكها معهم فى القتال ؟ .

يقول الايطاليون من غير الفاشـــيين أن السبب هو اخطـــاء استراتيجية ارتكبتها القيادة وهو ســـوء مسلك الزعماء الفاشيين والفوضى والاضطراب الداخلى فى البلاد .

ولكن الحقيقة أن الشعب الايطالى لم يقاتل لغاية يؤمن بها . وقد فشل موسولينى حيث نجح هتلر فى اقناع الايطاليين بوجوب القتال فى حرب واسعة من أجل ألمانيا النازية . وفى بث روح القسوة والوحشية فى أنفسهم وهو شعب جبل على البناء والتعمير يميل بطبعه الى السلم لا تتصف روحه بحب الغزو والفتح . ومستعمرات ايطاليا فى أفريقيا على ما بها من آثار المدنية والعمران على يد العمال المتواضعين من سكان صقلية ونابلى وبيد منت شاهد على أن الايطاليين شعب تعمير أكثر منه شعب مقاتل . وكانت سياسة الاستعمار سياسة فاشلة ينفذها طغاة مغرورون .

وما ان أعلنت ايطاليا الحرب حتى ظهرت بوادر الانحلال جلية فى النظام الفاشستى . وراقبت ألمانيا تدهور حليفتها بعين القلق ثم ما لبثت أن أسرعت الى مساعدتها فبدأت بتنظيم الجيش الألمانى الأفريقى وأرسلته الى ليبيا بقيادة رومل كما أقامت فى البلقان قواعد للغزو ومهاجمة اليونان منها .

عام ١٩٤١

عام الانتصارات الافريقية

بزوال الكابوس الفاشي عن مصر تألفت وزارة حسين سري باشا في ١٥ نوفمبر من المستقلين والأحرار الدستوريين . ورفعته من كبار المفكرين المحبوبين . امتازت حكومتــه بأنها حكومة عملية أخذت على عاتقها مسئوليات ضخمة في أوقات شديدة الحرج .

أدلى رئيس الحكومة بتصريح لمراسل الديلي ميل قال فيه : قل للعالم مؤكدا أن مصر ستحافظ على تعهداتها . وأن لانتصار بريطانيا في ليبيا تأثيرا قويا في الشرق الأوسط .

وكانت صلته بالسفير البريطاني والقواد العسكريين صلة متينة حتى لقد كتب اليه الجنرال ويفل رسالة عزا فيها انتصاره في القتال الى المعاونة القيمة التي قدمتها السلطات العسكرية المصرية فسهلت كثيرا من عملياته في صد هجمات العدو .

وفي منتصف ابريل تمكنت دوريات منفصلة من قوات المحور من التقدم الي السلوم . وهكذا ساء موقف الحلفاء الحربي فجأة ونجح الطابور الخامس في اثارة بعض القلاقل الداخلية .

وتساءل دولة اسماعيل صدقي باشا معقبا على تصريح ألقاه مستر تشرشل في مجلس العموم عن الحالة الحربية ، وطالب الحكومة المصرية بتوجيه انذار الى الغزاة من قوات المحور ، وبالتصريح بأنها ستحول بالقوة دون اندفاعهم في مطــاردة القوات المتحالفة

الى قلب البلاد لأنها فى وضع لا تستطيع منعهم من البقاء فى أراضيها بموجب معاهدة ١٩٣٦ التى بلغت كافة نصوصها لحكومات العالم .

واجتمع المجلسان التشريعيان فى اليوم التالى فى جلسة سرية وبعد مناقشة طويلة أصدرا قرارا بأن الحكومة موضع ثقتهما . فكان ذلك ردا على التساؤل . ولم تكن حقيقة الموقف تستدعى هذا القلق .

ثم قدر للقوات الغازية أن تحرز انتصارات جديدة فى اليونان والصحراء الغربية . وأشيع عزم برلين على ضرب أثينا والقاهرة بالقنابل بصفة جدية وسرعان ما صرحت الحكومة البريطانية بأنها لن تألو جهدا فى حالة تنفيذ هذا العمل فى ضرب روما بأشد أنواع القنابل فتكا . وكتبت الصحف المصرية فى هذا الموضوع فبينت الفرق الواضح بين أثينا والقاهرة وقالت أن الأولى عاصمة احدى الدول المشتركة فعلا فى الحرب . والاعتداء على القاهرة فضلا عن أنه يثير شعور المسلمين فى أنحاء العالم فانه خرق صريح للقانون الدولى ولحياد المصريين .

وفى آخر ابريل تقدم الجيش الألمانى حتى بلغ نقطة لا تبعد أكثر من ستة أميال من الحدود المصرية .

قامت فى العراق أزمة على أثر اندلاع ثورة عسكرية عندما اعترضت حكومة بغداد برئاسة رشيد الكيلانى بالقوة المسلحة دخول القوات البريطانية الأراضى العراقية . فنشأ بين القوتين قتال اضطربت له أحوال الشرق الأوسط . ونشطت دعاية المحور للتفريق بين العراق وبريطانيا .

وصرح نورى السعيد باشا للاجبشيان غازيت بقوله : ان القتال الدائر فى العراق هو نتيجة لنشاط بعض الطلبة العراقيين وغيرهم ممن قبضوا أموالا من برلين لاثارة الفتنة .

وفى أواخر مايو بدأت معركة كريت مما هدد الشرق كله من الغرب والشمال والجنوب . وعرض موقف فيشى الحلفاء لخطر جسيم عندما أصدرت تعليماتها الى القوات الفرنسية فى سوريا بمحاربتهم .

وفى أوائل يولية عينت الحكومة الانجليزية مستر أوليفر ليتلتون وزيرا للدولة ليمثل وزارة الحرب فى الشرق الأوسط . وكانت وظيفته قاصرة على المشاريع التى تتطلبها الحرب وكل ما يتصل بأعمال القيادة العامة من مسائل دبلوماسية .

واختيرت القاهرة مقرا له لموقعها الوسط الذى يناسب نشاطه دون أن يتعرض هذا الاختيار لمركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة .

وبذلك الاجراء رفعت الحكومة البريطانية عن كاهل قائدها العام فى الشرق الأوسط كثيرا من الواجبات التى لا تتصل بأعماله الحربية كالعلاقات بين الحكومة والفرنسيين الأحرار بزعامة ديجول وبينها وبين القوات الفرنسية بقيادة الجنرال نوجوس وكذلك ادارة بلاد العدو المحتلة .

ورأى حسين سرى باشا فى أوائل أغسطس أن يدعم مركز وزارته فعدل فيها بتعيين وزراء من حزبى الأحرار والسعديين ولوحظ فى ذلك الوقت اشتداد غارات المحور على بعض المدن المصرية وتركيز النيران التى قوبلت بها الطائرات المغيرة . وكانت قوات الجيش المصرى بارعة فى ارسال الأضواء الكاشفة وتسليط نيران مدافعه المضادة مما أثار الاعجاب العام .

وفى أواخر نوفمبر وصلت الى القاهرة بعثة عسكرية أمريكية تمهيدا لتلقى المساعدات الأمريكية التى تقرر ارسالها الى الشرق الأوسط . وفى ٨ ديسمبر هاجمت اليابان أمريكا فى بيرل هاربر فى وقت كانت المفاوضات الدبلوماسية دائرة بين الدولتين فى نيويورك . فكان من نتيجة هذا العدوان أن اتجهت الولايات المتحدة صراحة نحو قضية الديموقراطية ثم ما لبثت أن أغرقت أوروبا المناهضة للمحور بالمواد الحربية الوفيرة التى كانت من أهم أسباب كسب الحرب .

- ١٧ -

ما الذى كانت عليه حالة مصر الداخلية فى ذلك الوقت ؟

هبط محصول الحبوب من القمح والذرة فجأة وصعب حصول الشعب على حاجته من الدقيق مما اضطر مجلس الوزراء الى اتخاذ قرار بعدم استعمال الدقيق الصافى فى صنع الخبز والى زيادة المساحة المخصصة لزراعة الحبوب وانقــاص مساحة الأراضى التى تزرع القطن . وكانت الأزمة موضع اهتمام كبير من حضرة صاحب الجلالة الملك فشرف بحضوره جلسة مجلس الوزراء التى نوقشت فيها الأزمة ثم تفضل جلالته فأصدر أمره بتسليم الحكومة كافة محصول الخاصة الملكية من الحبوب لتوزيعها على المطاحن حتى يجد الشعب الخبز .

ومنعت الحكومة بيع اللحم يومين كل أسبوع لنقص كمية المستورد من الأغنام والقطعان من تركيا والبلقان . ولما اختفت الأقمشة القطنية الرخيصة المستوردة والمحلية من الأسواق أصدرت أمرا بتأليف لجنة لمراقبة الغزل الصناعى واليدوى . وندر الكبريت وصعب الحصول على العملة الصغيرة التى جمعها بعض الجشعين للتحكم فى صرفها مقابل دراهم . واستمرت هذه الأزمات مدة طويلة تسببت عنها مضايقات كثيرة .

وفرضت الحكومة رقابة شديدة على الأموال حتى لا تكون موضع تعامل سرى مع عملاء المحور . وقدمت لبنك مصر يد المساعدة

عندما زاد موقفه المالى سوءا فمولته بما يزيد على مليونى جنيه وبذلك تمكن من استعادة مركزه بعد أن تزعزع حتى أشفقنا على هــذه المؤسسة الوطنية الكبيرة من الانهيار .

ونصح رئيس الحكومة الشعب بالاقتصاد وأصـــدر قانون التموين بعد أن قل أو استحال استيراد كثير من البضائع من البلدان الأجنبية فقد هبطت عملية التصدير والتوريد أو توقفت لتعذر وجود السفن . وكانت السفن التى تقوم بهذه العملية قبل انشغالها بنقل آلاف الجنود الى الشرق الأوسط تقدر بنحو ثلاثين سفينة يوميا . ومع هذا تمكنت مصر من استصدار كميـات كبيرة من الأسمدة التى يتوقف عليها لحد كبير نمو المحصول الزراعى .

«سنكسب الحــرب» ! تناقلت هــذه الجملة شفاه الحلفــاء وأصدقائهم وزاد فى تحمس قواد الحرب اتجاه ميول روزفلت نهائيا الى معاونة الأمم الديمقراطية . وامتاز أمثــال كاترو فى الشرق وسمطس فى أفريقيا ومتكساس فى اليونان وسيكورسكى وتشرشل وايدن بقوة الحماسة وعلو الروح وسرت أفعالهم وأقوالهم مسرى الكهرباء التى هزت قلوب الأحرار وزعزعت موقف المحور .

اشتد الهجوم المضاد على القوات الايطالية فى الصحراء فاحتل الحلفاء البردية وأسروا أكثر من ٧٥٠٠٠ أسير ووقع فى أيديهم كثير من الأسلاب . وبسقوط البردية سلمت طبرق فتحرج موقف جرازيانى وتعذر تموينه من البحر وانكشف جناح قواته البرية خصوصا مدفعيته واستهدف لقنابل الطائرات المستمرة .

ويدل ايقاع ويفل الهزيمة بالايطاليين فى عقر دارهم الحصين القوى على مهارة هذا القائد وبعد نظره فلم يكن يفكر فى الحصول على مجرد نصر سهل أو فى هجوم لا نتيجة له كما فعل جرازيانى حين خاطر بالتقدم الى سيدى برانى .

ولعب الفرنسيون الأحرار فى تلك المعركة دورا هاما لفت نظر فرنسا فأخذت تتطلع اليهم فى زهو وترجو لنفسها على أيديهم هم وحلفاؤهم خلاصا وبعثا جديدا .

زلزلت الهـزائم المتتالية فى أفريقيا وليبيا النظام الفاشستى ولأول مرة قامت مظاهرات ضد الحكومة الديكتاتورية فى تورين وميلانو وأقيل جرازيانى بعد ضياع ثلث جيشه . وتقدمت القوات المتحالفة الى أكثر من ١٥٠ ميلا فيما وراء بنغازى وعين الجنرال ويلسون حاكما عاما لبرقه . وكان للبولنديين المحاربين دور حازم فى هذه المعارك بقيادة الجنرال كوبانسكى .

ثم ما لبثت المفاجآت أن لعبت دورا جـديدا فتحول الاتجاه الحربى ثانيا الى غير مصلحة الحلفاء فى برقة فأخلوا بنغازى لتتقدم قوات ألمانية ايطالية كبيرة يؤيدها كثير من الدبابات الضخمة . ولولا مقاومة طبرق بشكل يعد مثلا رائعا للبطولة رغم انفصال حاميتها عن قواعدها لتم احتلال المحور مصر والسويس .

عندما تحولت الحرب عن مصلحة الحلفاء فى البلقان والصحراء وكريت كاد الموقف فى أفريقيا يقضى على مستقبل الامبراطورية البريطانية . ولم يكن من السهل على بريطانيا بعد أن سلمت فرنسا أن تدافع عن نفسها وعن كينيا والسودان ومصر وفلسطين فى نفس الوقت ، لأن قواتها لم تكن تتجاوز خمس القوات الايطالية عندئذ .

بدأ دوق داوستا بمهاجمة السودان ولكنه فعل ذلك فى مهل وحذر لعدم توطيد قدم ايطاليا تماما فى أثيوبيا التى اتخذها قاعدة لهجومه . فقد كانت القوات الايطالية فيها معرضة باستمرار للهجوم المتواصل للعصابات الحبشية المنتشرة فى جبـال أثيوبيا وفيافيها الوعرة خصوصا فى منطقة جو جدام فكانت هذه العصابات عاملا فعالا فى اضعاف قوة ايطاليا الحربية فى تلك المناطق .

ولقيت العصابات معاونة صادقة من بريطانيا منذ اعلان ايطاليا الحرب فنظمت رجالها ودربتهم على القتال الحديث فى الأدغال والجبال . وقام الميجور جنرال أوردس وينجت ورفاقه بمثل الدور الذى لعبه لورنس من قبل فى بلاد العرب .

فلما وصل الامبراطور هيلاسلاسى الى حدود بلاده فى ١٥ يناير بعد غيبة خمس سنوات وجد فى انتظاره قوات وطنية عديدة دربت واستعدت للزحف تحت قيادته للقضاء على قوات عدوه .

واسترد الحلفـــاء كسلا وتوغلوا فى أملاك ايطاليا فهاجموا ارتريا • وفى موقعة حامية فى كيرين لعب فيهـــا الفرنسيون الدور الأول سلمت القوات الايطاليـــة . ثم احتلوا مينـــاء كيسمايو فى الصومال الايطالى • وحررت القوات الحبشية مدينة جوجدام واستعيدت بربرة عاصمة الصومال البريطانى وجيجيجيا على طريق هرر ثم سقطت هرر ومن بعدها أسمرا • وتجمعت القوات المختلفة المنتصرة لتواصل زحفها الى أديس أبابا •

استمات رجال القوات المتحالفـــة فى هـــذه الحروب وأظهروا كثيرا من ضروب الشجاعة والعزم فى موقعة كيرين • فكانوا يقاتلون قوات تبلغ أحيانا أربعة أضعافهم ومع ذلك اكتسحوا الخط المتين الذى كان مركزا طالما وجهت منه ايطاليا الى داخل ألبلاد أعمال العنف والقسوة زمنا طويلا •

قال الدوق داوستا فى برقية أرسلها الى الدوتشى : « انه نظرا لصعوبة العنـــاية بجرحانا العـــديدين ولتحرج موقفنـــا الحربى واستحالة المقاومة لفداحة ما لحقنا من خسائر اضطررت وأنا مطمئن الضمير الى طلب شروط التسليم فأجابنى اليها العدو • ومع شكرى لسيدى الدوتشى على ثقته بى وحسن رعايته لى فاننى أقرر عن عقيدة أن الحرب لم تنته بعد واننا سنعود قريبا مرة أخرى الى هذه البلاد التى روى أرضها الدم الايطالى فى سبيل رفعة شأن الوطن •

ولم يكن موسولينى عندما عين الدوق نائبا للملك فى آثيوبيا سنة ١٩٣٧ خلفا لجرازيانى يبغى من ذلك تكريم آل سافوى بل عينه

وهو يعلم مبلغ ســوء صحته ، وكان يرتقب نشوب حرب كانت متوقعة •

لابد أن نتساءل عن السر فى هزيمة ايطاليا المنكرة فى الحبشة ! يقول الدكتور باثينو من الايطاليين الذين لا يدينون بالمذهب الفاشى أن السبب هو ســوء النظام فى الحكم وانقسام زعمــاء الفاشست وخضوع الدولة الى نظام الجاسوسية وانتشار الفوضى فى داخل البلاد •

ولو ادعى امرؤ فى يونيه سنة ١٩٤٠ بأن النصر سيواتى بريطانيا فتستولى فى العــام التالى على ما استولت عليه فعــلا من أملاك الامبراطورية الايطالية فى الحبشة وأرتريا والصومال وتقاوم الغزاة فى مصر وفلسطين والعراق وتدافع عن هذه البلاد لقلنا أنه حالم أو جاهل •

— ٢٠ —

توفى الجنرال متكساس فى السبعين من عمره وهو فى أوج عظمته الوطنية • ولم تكن كفاية اليونان الحربية وكلمتها الموحدة وانتصارها على ايطاليا الا أثرا مما أداه هذا الرجل من خدمات لبلاده •

وكان لابد من أن تكون روحه ديكتاتورية ليستطيع اصلاح أحوال بلاده الداخلية • ومع ما كان يستهدف له من انتقاد ولوم للشدة التى أخذ بهـا معارضيه السياسيين التى بلغت أحيانا حد القسوة والعنف الا أن ذلك لا يجعلنا ننكر عليه براعته فى قيادة زمام بلاده والسير بها الى طريق النصر والفخار •

وبينما كانت الحوادث تنم عن نيـة برلين وروما فى البلقان وأفريقيا كان هتلر يدبر مؤامرة أخرى لاحتلال منطقة الدانوب من بودابست حتى البحر الأسود بالاشتراك مع صديقه موسولينى حتى لا يدع مجالا لأى تدخل لروسيا فى تلك المنطقة • وكانت العلاقة بين الديكتاتوريين قائمة حتى ذلك الوقت على تبادل الود والاحترام •

ولكن هزيمة ايطاليا قضت على حلم هتلر ومع ذلك لم يقف مكتوف اليدين يشهد مصرع شريكته بعد ظهور عجزها الحربى فأسرع الى العمل واحتل رومانيا ليجعل منها قاعدة لتوسعه • ونشط فون رينتروب فى صوفيا وبخارست نشاطا ظهر أثره باعلان بلغاريا انضمامها الى المحور •

وزاد من وضوح خطة هتلر هذه مهاجمته اليونان ويوغوسلافيا من قواعده الجديدة فى رومانيا وبلغاريا • وكانت اليونان توجس من ألمانيا خيفة لذلك رأينا جيوشها تقاوم الغزو الايطالى فى عزم حتى لا تجعل مجالا للتدخل الألمانى • ووقفت أنقرة موقفا حازما حين قررت الحكومة التركية مقاومة أى اعتداء عليها ثم اتجهت ميولها نهائيا نحو الديمقراطية •

بعد أن احتـــل هتلر رومانيا وبلغـــاريا طالب يوغوســـلافيا بالخضــوع لنفوذه والانضمام للمحور • وكانت الحكومــة اليوغوسلافية ضعيفة يرأس الدولة مجلس وصاية عليه الأمير پول فاختار بدافع الخوف جانب ألمانيا رغم تربيته الانجليزية البحتة • وهكذا نكثت بلغاريا عهدها مع دول البلقان الصغيرة •

ومع ذلك أرادت الوزارة البلغارية ألا تقطع صلتهـــا نهائيا بالحكومات الديمقراطية فسلمت الى بريطانيا الدكتور ميلان ستويا دينوفتش الذى كان موضع شك الحلفاء لميوله الظاهرة نحو المحور ولصداقته لشيانو وجورنج •

وقامت أزمة وزارية وتحركت فى الشعب اليوغوسلافى الوطنية والكبرياء فرفض أن تسلم حكومته لبرلين هذا التسليم المقنع وراقبت الدول الديمقراطيــة تطور الموقف باهتمـــام ورأت أن يوغوسلافيا يجب أن تختار بين موقفين لا ثالث لهما فاما الانضمام الى بريطانيا واليونان وتركيا أو قبول المصير الذى لحق ببلغاريا ورومانيا •

وفى ٢٥ مارس انضمت الحكومة الى ألمانيا • وحينما اعتقد هتلر وموسولينى أنهما سيطرا نهائيا على دولة أخرى من دول البلقان « ثابت يوغوسلافيا الى رشدها » واحتج الشعب على حكومته بمختلف الطرق فلما طلب هتلر حل الجيش قامت مظاهرات عنيفة مسلحة فى العاصمة والمدن اليوغوسلافية هتفت بحياة انجلترا وروسيا وسقوط هتلر •• وشجعت لندن روح المقاومة فاندلعت الثورة فى البلاد وسقطت الحكومة • وتألفت وزارة جديدة برئاسة الجنرال سيموفتش بمرسوم من الملك الصغير بطرس الثانى الذى لقبه سمطس « ببطرس الصغير الكبير » •

ترك هذا الانقلاب الذى لم يكن منتظرا أثرا سيئا فى نفس هتلر وغضب وأمر سلاحه الجوى بشن هجوم عنيف على بلغراد ففتك بها بشكل لم يعرف التاريخ مثل قسوته • وتهيأت يوغوسلافيا للهجوم النازى الذى رأت أنه لا مناص منه • وما من شك فى أن بلغاريا بتحديها ألمانيا مع علمها بعظم الفرق بينهما كانت تعرض نفسها فى شجاعة عجيبة لانتقام عدو جبار عنيد •

وبعث الريخ الى الحكومة اليوغوسلافية بانذار نهائى ثم مالبث الجيش النازى أن هاجمها ، فتدفقت عليها فرق البانزر من المجر ورومانيا وبلغاريا واتصف الهجوم النازى عليها وعلى اليونان بالغلظة والوحشية لا لسبب الا لمجرد وقوفهما للذود عن حريتهما وكرامتهما ضد اعتداء دولة تعلم أنهما لا تملكان لها ضرا •

كانت رغبة الحلفاء من البداية عدم زج البلقان فى الحرب فحاولوا توحيد دوله فى معاهدة لتكون كتلة متساندة تعمل لها ألمانيا حسابا فلا تفكر فى مهاجمتها الا بعد ترو وتفكير • ولكن كلمة هذه الدول تفرقت فاستطاعت ألمانيا أن تلتهمها الواحدة بعد الأخرى •

بعد استيلاء القوات النازية المصفحة على طبرق فى ١٣ ابريل تقدمت منها الى الحدود المصرية ودخلتها ٠ وحصلت فرق البانزر على تقدم مماثل فى اليونان ويوغوسلافيا ٠

ورغم بسالة الجيش اليوغوسلافى وتضحيته فقد انتهى أمره الى التسليم بعد قتال دام اثنى عشر يوما منى فيها بخسائر فادحة ٠ ومع ذلك تكلف الألمان فيه غاليا وحجزت برلين طائراتها فلم ترسلها الى قواتها فى الصحراء الغربية كما اضطرت الى تأجيل غزو تركيا الذى كان محددا له شهر ابريل ٠

أما فى اليونان فقد تحرج الموقف فى اتيكا وأثينا وتألفت وزارة جديدة عقب انتحار الرئيس السابق يأسا من الحالة ٠ ودخلت طلائع الجيش النازى أثينا وسلم الجنرال باكوبولس قائد مقدونيا بجيشه المؤلف من ٤٥٠٠٠ جندى ٠

وهكذا أصبح على الأسطول البريطانى والسلاح الجوى فى الشرق عبء ثقيل لأن المحور بعد استيلائه على اليونان كان حرا فى الهجوم على سوريا عن طريق جزر الدوديكانز أو تركيا ٠

بنيت خطة المحور بعد استيلائه على اليونان على أمور ثلاثة : تخويف تركيا باحتلال أقرب الجزر الى الدردنيل ٠ واغراء اسبانيا بانضمامها اليه فى هجومه على جبل طارق ٠ وشن هجوم قوى فى الصحراء الغربية واحتلال مصر ٠

لم يكن أحد يتصور أن هتلر يقدم على غزو كريت من الجو • وكان من عوامل انتصاره فى هذه الجزيرة نقص المدافع المضادة للطائرات وصعوبة النقل واستحالة ارسال قوات جوية كبيرة لقرب القواعد الجوية النازية منها • كذلك لم يكن فى حسبان المسئولين من الحلفاء امكان هبوط تلك القوات الهائلة بعتادها الحربى الكامل من الجو • وقدروا أن الحامية المؤلفة من ٣٠٠٠٠ من خيرة جنود الامبراطورية البريطانية ومن قوات أخرى يونانية تستطيع رد المهاجمين •

ومع كثرة ما دفع به الألمان الى الجزيرة جوا وبحرا من قوات وعتاد فقد قاومت الحامية مقاومة رائعة لم يألفها النازيون فى « نزهاتهم الحربية » فى أوروبا فأغرقت ٥٠٠٠ جندى وقتلت ١٢٠٠٠ وأسقطت ١٨٠ قاذفة ومقاتلة و ٢٥٠ طائرة نقل •

ولم يستغرق هذا النضال القصير الدامى أكثر مما استغرقه القتال فى غزو يوغوسلافيا • ويعد هذا الغزو الجوى من حوادث الحرب العالمية الثانية المشهورة اذ تم فيه نقل كميات وفيرة من الرجال والأسلحة الثقيلة والمعدات المختلفة بالبراشوت • وقامت السفن الصغيرة بمحاولات جريئة أفلتت فيها من الحصار الذى ضربه الأسطول حول الجزيرة • ولكن ازاء كثرة الطائرات النازية التى طارت من قواعد قريبة لم تجرؤ الطائرات البريطانية من الاقتراب من الجزيرة بصفة جدية وبذلك خلا لها الجو للعمل دون مضايقة من السلاح الجوى البريطانى •

واستطاع ملك اليونان الهرب من الجزيرة مع بعض صحبته والوصول الى الأسكندرية على احدى سفن الأسطول •

ومن حوادث الحرب الهامة طيران الهرهيس نائب الفوهرر الى انجلترا • طار هذا الزعيم النازى سرا وقطع فى رحلته ٧٥٠ ميلا هبط بعدها فى مكان باسكتلندا • وأذاعت برلين عقب وصوله انه كان تحت رقابة شديدة لاختلال فى توازن قواه العقلية •

وحاولت موسكو شرح ظروف الحادث فأذاع ستالين بيانا قال فيه : « ان ألمانيا تحاول اثارة الانقسام الداخلى فى انجلترا كما أثارته من قبل بنجاح فى فرنسا • فأوفدت اليها هيس لاغراء ساستها على الانضمام اليها فى محاربة الجمهورية السوڤيتية ولكن هذا المجهود فشل باعلان انضمام بريطانيا والولايات المتحدة الى جانب روسيا » •

وصرح سير باتريك دولان عمدة جلاسجو للديلى ميل بأن هيس وفد على بريطانيا كسفير رسمى للنازيين لاختبار الرأى العام البريطانى فيما اذا كان على استعداد للتفاهم على عقد صلح مع ألمانيا ثم العودة بطائرته الى برلين وهو لم يحمل معه شروطا محررة ولكنه ذكرها شفاها • وتتلخص شروطه فى رد المستعمرات الألمانية اليها وتسليمها جزءا من قوات بريطانيا البرية والجوية والبحرية ، مع دفع تعويض معين ، والموافقة على خضوع أوروبا لسلطان الفوهرر ، واستيلاء ألمانيا على سواحل أفريقيا الغربية وسوريا وفلسطين وبعض مناطق أخرى ، وانتقال رقابة قناه السويس الى برلين وروما ،

واستيلاء ايطاليا على كورسيكا وتونس ، واسبانيا على مراكش وجبل طارق ، ثم عقد صلح مع بريطانيا على هذا الأساس مع مراعاة مصالحها الأخرى • وطالب باخراج « عصابة تشرشل » من الحكم واستبدالها بحكومة تميل الى التفاهم مع النازيين • وكان جواب بريطانيا على هذه الشروط القبض على رودلف هيس وايداعه السجن •

فى هذه الآونة تم القضاء على ثورة العراق وأعلنت حكومته الجديدة الحرب على المحور • وتمكن تشرشل من أن يرد فى تهكم على أحد النواب الذين نعتوا الحكومة عند قيام الثورة بأنها حكومة فقيرة فى معلوماتها ، كسول ، تلبس فى يدها قفازا حريريا ، بأن الحكومة قضت على الثورة واحتفظت بالمراكز الاستراتيجية الهامة التى كان يمكن أن تفيد المحور كثيرا •

على أثر قيام ثورة العراق حدث قتال فى سوريا بين الفرنسيين من أتباع فيشى واخوانهم الأحرار • ونشطت دعاية المحور واتباع فيشى فصورت الحلفاء والفرنسيين الأحرار فى أبشع صورة • فاتفق الحلفاء وأصدقاؤهم الفرنسيون على القضاء على الخطة التى رسمها المحور • وأذاع ديجول بيانا من القاهرة على القوات الفرنسية المختلفة فى الليفانت طالبهم فيه بالتعاون مع الحلفاء لكسب الحرية والاستقلال • ووعد سوريا ولبنان بضمان استقلالهما وتحديد علاقاتهما بفرنسا • وحذر الفرنسيين من الخضوع لأوامر رجال فيشى التى تجعلهم عونا لعدوهم لاحتلال الليفانت •

غير أن البيان لم يمنع المقاتلين الفرنسيين من الانضمام الى الجنرال دينتز الذى كانت ميوله للمحور واضحة ونفوذه عليهم قويا بدل الانضمام الى الجنرال كاترو صديق الحلفاء • ونشأ عن الموقف قتال طاحن استمر شهرا • وكان الاهتمام من جانب الحلفاء بهذه البقعة التى قال عنها نابليون انها تؤلف مع فلسطين حصنا منيعا يحرس الطريق الى وادى النيل دليـــلا على استماتتهم فى تحريرها والحرص على عدم وقوعها فى يد المحور •

وفى ٩ سبتمبر أكد مستر تشرشل الاتفاقية المبرمة بين ديجول وليتلتون فى القاهرة بتصريحه بأن ليس لبريطانيا مطامع اقليمية فى الليڤانت أو تفكير فى الحلول محل فرنسا • وبأن سوريا ولبنان ستكونان مستقلتين مع مراعاة ما لفرنسا فيهما من مكانة ممتازة •

- ٢٢ -

بينما كانت المؤامرات تدبر على مسرح الشرق الأوسط وقع حادث غير مجرى الحرب باعلان هتلر العداء لروسيا بعد استيلائه على فنلندا فى الشمال ورومانيا فى الجنوب . وسرى نبأ اقتحام الجيوش النازية للأراضى الروسية وتقدمها فيها مسرى الكهرباء فى العالم كله .

« خسر هيتلر الحرب » ! هذه هى الجملة التى تناقلتها الألسن وقتئذ . وكان الرأى ، عندما تحالفت روسيا مع الريخ ، أن هذا التحالف لا يعنى تخلى الروس نهائيا عن سياستهم التقليدية ، سواء فى عهد القيصرية أو البلشفية ، وهى العداوة الطبيعية الوراثية بين بلادهم وألمانيا فى الغرب واليابان فى الشرق .

وبين ستالين الأسباب التى دعت الى عقد التحالف مع ألمانيا فقال : « كان القصد من عقد هذا التحالف ضمان فترة هدوء تتمكن فيها روسيا من الاستعداد » . ووصف مولوتوف نقض ألمانيا لعهدها بأنه أكبر خيانة عرفها التاريخ .

أما جوبلز فصرح بلسان السياسة النازية بأن التحالف مع روسيا كان لابد منه لمصلحة الشعب الألمانى وتأمين حدود ألمانيا الشرقية . وقال هيتلر فى خطاب طويل له عقب اعلانه الحرب على الروس « أن روسيا رغم التحالف وقفت من ألمانيا موقفا عدائيا .

اذ طالب قوادها أثناء الحرب البولندية بضم لتوانيا . وأخضعت روسيا لنفوذها فنلندا ودول البلطيق . وحشدت جيوشها على الحدود الألمانية بشكل يبعث على التهديد مما اضطرت ألمانيا ازاءه الى فعل المثل بالرغم من أننـا نعلم مبلغ ما يستفيد به الحلفاء من حجز قواتنا على حدودنا » . ثم أردف قائلا « ان روسيا طالبت بضم بساربيا الى رومانيا فاضطررت الى اجابة جميع مطالبها . ولم اتخذ أى عمل ايجابى ضدها مع ما لحظته فى الانقلاب اليوغوسلافى من أنه كان بايعاز من انجلترا وروسيا متعاونتين » وزاد هتلر فقال : « ولما تمادى الكرملين فى طلباته وأصبح موقف البلقـان مهددا نفذ صبرى » .

دحض مولوتوف هـذه الأقـوال وأشـار الى أن روسيا نفذت شروط الاتفاقية باخلاص . ثم فوجئت بمذكرة باعلان الحرب سلمها اليه السفير النازى كونت ستسولمبرج . وقال : « ان الشعب الألمانى لا شأن له فى اثارة هذه الحرب . انما المسئول عنها هم طغمة النازيين » .

وصورت برلين البلشفية فى أقبح صورة . واتخذ العـداء النازى البلشفى شكل حرب صليبية . وكما تحالف حكومة القيصر المطلقة فى سنة ١٩١٤ مع الجمهورية الفرنسية ضـد الامبراطور ويلهلم الثانى كذلك تحالف الاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية مع بريطانيا لرد العدوان النازى .

وألقى مستر تشرشل بيانا وضح فيه موقف بلاده حيال روسيا

فقال : « ان الانجليز لا ينظرون الى المسألة الروسية الا من الناحية الانسانية البحتة دون فكرة الدفاع عن البلشفية بل الدفاع الطبيعى عن الشعب السلافى الذى أرادت النازية سحقه والقضاء عليه لتفرض نفوذها الاستبدادى على أوروبا وآسيا » .

وكان الشعور العام فى مصر والشرق الأوسط أن هذه البلاد لن تفلت من براثن النازية الا اذا انتصرت روسيا . واستبدلت برلين النغمة التى كانت ترددها وهى : « الأمم الاشتراكية تحارب الأمم الرأسمالية » أو « الاشتراكية الوطنية هى ثمرة ثورة الفقراء على الأثرياء » بنغمة أخرى هى التمسح بالمسيحية والكنيسة . ولم تكن برلين فى حاجة اليهما فى الواقع بل كان لعابها يسيل لقمح أكرانيا وزيت القوقاز للاستعانة بهما على مواصلة سياسة النازى التخريبية فى العالم كله .

ومما لاشك فيه أن ألمانيا خدعت فى قوة روسيا العسكرية الحقيقية . وانتهزت بريطانيا هذا الاعتداء الجديد من جانب النازيين فحملت قاذفاتها حملة شعواء فى نطاق واسع على المصانع الألمانية الحربية فساعد ذلك كثيرا على تخفيف الضغط على روسيا .

قدرت ألمانيا شهرين لانهاء الحرب الروسية فى مصلحتها قبل حلول الخريف الروسى وأمطاره التى تحيل الطرق الى أوحال يصعب معها سير المصفحات والدبابات . كما قدرت امكان احتلال فرق البانزر لمدن لينىنجراد وموسكو وستالنجراد واستراخان واقليم

القوقاز . وعندئذ ينجح هتلر فى اقامة قيصرية جديدة فى الكرملين تخضع لنفوذه وتسوس البلاد على غرار ما فعلته حكومة فيشى فى فرنسا . وتقضى على النظام البلشفى ثم تنضم روسيا الى ألمانيا فى قتالها مع بريطانيا والحلفاء . فاذا تحقق هذا الحلم طوقت القوات النازية والقوات التى تسير فى محورها ايران والشرق الأوسط ثم تزحف الى الهند وتتصل فى آسيا بالجيوش اليابانية .

ذكر ستالين والقتال دائر على أشده فى روسيا انه بالرغم من خسائر الجيش النازى ودفاع الروس المجيد فقد انسحبت القوات الروسية من لتوانيا ولتفيا وروسيا البيضاء وبولندا . وان طائرات العدو ألقت أطنانا من القنابل على مورمانسك وأوديسيا وسباستبول . وان الجيش الأحمر أخذ على غرة واضطر لمجابهة ٣٠٠ فرقة انضمت اليها فرق أخرى من البلدان التى شملها سلطان المحور .

وما انقضى شهران على الحرب حتى كان الألمان على أبواب سمولنسك ونيفل وحوصرت لننجراد وكييف وأوديسيا وأخليت موسكو من المدنيين .

والحقيقة ان روسيا لم تكن تقاتل وحدها بل كانت بريطانيا والولايات المتحدة وأمم أخرى تؤيدها فى صور مختلفة .

وفشل هتلر فى الاعتماد على السرعة ، وفى استمالة سكان الأقاليم التى استولى عليها اذ قاوموه فى عناد بشكل أقلقه . وكانت ألمانيا

تعتقد خطأ بضعف الجيش الأحمر وقواته المسلحة وظنت أنها ستقضى عليه بسهولة .

ونجحت القيادة الروسية العامة فى سحب قواتها سليمة الى ما وراء الأورال كما نقلت اليها مصانعها الحربية وأمرت باحراق المدن التى أخلتها قواتها . وشكا الروس من عدم فتح جبهة ثانية فى أوروبا تخفيفا للضغط عليهم ومن نقص المواد الحربية الهامة كالدبابات والطائرات .

ومع ذلك لم يترك ستالين وسيلة لزيادة منتوجاته الصناعية الحربية الا انتهجها . كما حرك فى شعبه روح الحقد والكراهية الكامنة فيه حيال الألمان فاكتسحت البلاد موجة لا حد لها من البغض لهم .

ويبدو أن هتلر أخطأ فى عدم محاولته استمالة الشعب الروسى بحسن المعاملة والسياسة الكيسة . وكان يستطيع أن يفعل ذلك لولا ما طغى عليه من نظريات الجنس والتكبر وشدة ثقته فى قوته العسكرية .

ولما حل الشتاء السيبيرى القارص فى نهاية سنة ١٩٤١ استحال على الدبابات الألمانية العمل ، وشلت حركتها . وعانت للمرة الأولى من الضربات القاصمة التى تعرضت لها فى روستوف وتجفين وأمام موسكو .

ويمتاز الشتاء الروسى بشدة الزمهرير والجليد وهبوب الرياح العاتية البالغة البرودة من منـــاطق سيبريا • فكانت القــوات النازية تعانى منها الأمرين فى المناطق المخربة التى لاسبيل فيها الى التحصن أو ايجاد الملجأ الذى يحميها •ولم تفتر العصابات الروسية المسلحة عن مهاجمة الغزاة الذين طالت مواصلاتهم• ولم تكل المقاومة الثابتة العنيدة المتواصلة ولا الدفاع المجيد الذى قام به الروسيون عن بكرة أبيهم عن كل شارع وبيت •

هذه العوامل مجتمعة كانت ضربات مميتة تلقتها الجيوش النازية بشكل لم تألفها من قبل • وقد ارتكب هتلر بهجومه هذا أفحش خطأ لأنه كان عاملا أساسيا فى تغيير وجهة الحرب ونتيجة حاسمة فى تقرير مصيرها النهائى •

يجب ونحن فى صدد سرد حوادث الحرب فى أفريقيا ألا نغفل مالطـا ، تلك الجزيرة الخالدة التى قاومت المحـور فى عنـاد وبطولة ففوتت عليه خطة احتلالها • وهى نقطة استراتيجية هامة ومن مفاتيح البحر الأبيض • وقد تحملت الجزيرة شدة وطأة الحرب فى صبر وشجاعة وخرجت منها مرفوعة الرأس واستحقت تقدير العالم • وبفضل مقاومتها — وهى من قواعد الأسطول البريطانى القوية فى البحر الأبيض — فشـل المحور فى الاستيلاء على وادى النيل •

وغضب المحـور لمقاومتها فهاجمتها طـائراته بما لا يقـل عن ٥٠٠ مرة منـذ أعلنت ايطاليـا الحـرب • وكان معـدل الغارات الجوية عليها مرتين كل يوم • وقذفتهـا الطائرات بنحو ١٤٠٠٠ طن من المواد المتفجرة أو بمائة وعشرين طنا لكل ميل مربع • وقتل فى هذه الغارات من المدنيين ١٤٦٣ نفسا وتهدم أو أصيب أكثر من ٢٤٠٠ منزل • واعتاد السكان الغارات المتكررة فكانوا يقيمون فى مخابىء متينة تحت الأرض •

ولكن الجزيرة صمدت وأنزل السلاح الجوى البريطانى من قواعدها بالسفن الايطالية التى كانت تنقل لقوات المحور فى الصحراء المؤن والذخائر أضرارا بالغة • وكثيرا ما فقدت قوافل المحور التى كانت ذات أهمية حيوية لقواتها هذه كثيرا من سفنها بما عليها من شحنات ضرورية •

ولم يحاول المحور تكرار ما فعله فى كريت بغزو مالطا من الجو لعلمه بفشل محاولة كهذه لمناعة الجزيرة واستعدادها لمقاومة أى غزو جوى بالرغم من قربها لمطارات المحور فى صقلية ٠

وتعرضت عملية تموين قواتها الحربية وسكانها لخطر شديد فكانت القوافل البريطانية فى ظروف خاصة تضطر الى تضحية نصف عددها فى سبيل الوصول الى الجزيرة بحملها من طعام وذخيرة ٠ وتمكنت حاميتها من اسقاط ١١٢٩ طائرة للمحور ٠

بعـد أن احتلت القوات الألمانيـة طبرق واصلت زحفها الى السلوم ٠ وقام جيش النيل بهجوم مفاجىء فى ١٧ يونيه استعاد فيه بعض مراكزه فى الحدود وتقدم منها الى كابتزو ٠ ثم اشتد القتال فى الحلفاية وبدأ اسم رومل يلمع بعد أن حل الألمان محل الايطاليين فى القيـادة وذلك لما امتاز به القائد النـازى من مناورات بارعة فى الصحراء ٠

وبالرغم من تغير الموقف الحربى فى غير مصلحة ويقل عقب معركة كريت ، وفى أثناء معركة سوريا فانه تمكن من توجيه ضربة قوية لعدوه فى الصحراء الغربية لعب فيها السلاح الجوى الدور المهم بعد أن قويت شوكته ٠

كان لابد لأمريكا من مد حلفائها بالعتاد والطائرات والدبابات بعد آن اشتد الخطر على الشرق الأوسط عقب استيلاء النازيين على اليونان وكريت ويوغوسلافيا ٠

وفى كتاب « الاعارة والتأجير سلاح النصر » بيـانات خطيرة

وردت على لسان مستر ادوارد ستيتنس وكيل وزارة الخارجية الأمريكية عن المساعدات الحربية التى ساهمت بها أمريكا فى حروب الشرق ، قال : « ومما لاشك فيه أننا حين رأينا الخطر يقترب منا اذا ضاعت من الحلفاء قناة السويس واستولى المحور على الشرق الأوسط واتسعت عملياته الحربية فى سواحل المحيط الهندى ، وجدنا أنه لزام علينا أن نرسل الى مصر على عجل أقصى ما نستطيع ارساله من الدبابات والطائرات والمدافع . وقد فعلنا ذلك وأقيمت مخازن ومصانع حربية بالقرب من القاهرة وفى فلسطين وارتريا وعلى ساحل خليج العجم لتكون فى متناول يد القوات البريطانية » .

كما انشئت طرق جوية جديدة بعد استحالة استخدام الطريق القديم المار بجبل طارق ومالطة . فقوى ساعد السلاح الجوى البريطانى فى أيام سنة ١٩٤١ الحرجة . وتمكن الجنرال أوكنلك خليفة ويفل فى القيادة العامة من رسم خطة جديدة للهجوم المعروف الذى نفذه الجيش الثامن بنجاح فى الوقت المناسب . وما من شك فى أن أكبر الفضل فى نجاح معركة العلمين لصالح الحلفاء كان لتفوقهم الجوى .

والجنرال ويفل من الشخصيات الممتازة التى لعبت أدوارا هامة خطيرة فى الحرب العالمية الثانية . ومع صفاته المتواضعة ودماثة الخلق والبساطة وعذوبة الحديث كان قائد ممتازا أحرز انتصارات كبيرة فى معركة أفريقيا وتحمل مسئوليات جسيمة مـدة عامين . فلا عجب اذا كان موضع تقدير المجتمعات بعد أن قهر أشهر قواد المحور أمثـال جرازيانى وروملى ودوق داوستا ودينتز . وقاد

جيشا متوسط الحال فعمد الى تقويته ثم مالبث أن هاجم به نخبة جيوش ايطاليا وألمانيا فى أفريقيا والصحراء الغربيـــة وأسر منهم ٢٠٠٠٠٠ فى برقة و ٢٣٠٠٠٠ فى أثيوبيا بينهم الدوق نفسه ٠

وهو يشبه الى حد كبير اللورد اللنبى ، وكان يعمل تحت قيادته فى الحرب الأولى وكتب تاريخ حياته ٠ وأنعمت عليه حكومته برتبة الفيلد مارشالية ولقبه البدو وبأسد الصحراء ٠

لذلك كان نقله موجب أسف الأوساط المختلفة فى مصر ولهذه المناسبة صرح حسين سرى باشا رئيس الحكومة بقوله : « منذ وفد الجنرال ويفل على مصر وعلاقتى به عندما كنت وزيرا للدفاع طيبة وقد ظلت كذلك حتى اليوم ٠ وهو أحد الجنود العظماء الذين أنجبهم عصرنا بل هو سيد فنون الحرب ٠ وكانت العلاقات بين السلطات الحربية المصرية والبريطانية قائمة طول مدة قيادته على أساس الصداقة والتعاون ٠ وكان فى أحرج الأوقات متفائلا شديد الايمان بالنصر واجه الحوادث الحرجة فى هدوء عجيب ممزوج بالشجاعة والثبات ٠ وسيبقى اسمه فى سجل عظماء قواد الحرب الذين سيخلدهم التاريخ » ٠

ووصفه مستر تشرشل بأنه السيد الذى لا يبارى فى فنون الحرب والجندى الشجاع الذى لا يقهر ٠

أما خليفته الجنرال سير كلود أوكنلك فكان هادئا كثير التفكير يبغض التظاهر ٠ قاد القوات المتحالفة فى معركة نارفيك ٠ واتصل اسمه بمعركة العلمين وبالمناوشات الرائعة التى قام بهـا الجيش الثامن حين تمكن من وقف تقـدم فرق البانزر فى طريقهـا الى الأسكندرية فى وقت كان فيه مستقبل الشرق الأوسط فى كفة القدر ٠

– ٢٤ –

بينما كانت القوات البريطانية تستعد لهجوم الخريف بقيادة أوكلنلك لطرد المحور من الصحراء الغربية نجحت طبرق فى صد هجمات عنيفة شنها العدو عليها وفشلت جهوده المتواصلة لاحتلال هذا الحصن • لهذا تعتبر طبرق وسباستبول من المدن التى تحملت وطأة الحصار فى بسالة عجيبة •

وجاء على لسان مستر ايدن وزير خارجية بريطانيا العبارات التالية : « أود أن أذكر لسكان الشرق الأوسط ونحن نعمل لتوجيه ضربة قاضية للعدو أننا انما نفعل ذلك ابقاء على حرياتهم وضمانا لاستقلالهم • وواجبهم اذن مد يد المعونة لنا حتى تضيع على المحور فرصة اثارة المشاكل التى يمكن أن تحد من مجهودنا الحربى • وقد برهنت التجربة فى ايران على أن معظم من يقيمون فيها بصفاتهم المختلفة انما هم آلات تدمير شديدة الخطر على كيانها • فلفتنا نظر حكومة ايران الى ما تتعرض اليه بلادها من أخطار من جراء السماح لتلك الفئة بالبقاء فى أرضها ، ونرجو أن تستمع للنصيحة قبل فوات الوقت » •

هذا التصريح الرسمى دل على أن الحكومة البريطانية كانت جادة فى عدم تعريض الشرق الأوسط لأى تهديد بعد حوادث العراق وسوريا ولبنان المحزنة • وعلى أنها لم تكن تتحرج من اتخاذ التدابير التى ترى أنها كفيلة لصيانة الامن فيه لمصلحتها •

وقيل ان مؤامرة سرية اكتشفت فى ايران لقلب نظام الحكم . فلما لم تتخذ حكومة طهران اجراءات حاسمة لردع الطابور الخامس اضطرت بريطانيا وروسيا الى التدخل السافر .

وكانت خطة هتلر مهاجمة تركيا فى الربيع ، غير أن ثورة يوغوسلافيا ومقاومتها جعلته يغير رأيه ويكتفى بحرب أعصاب تشنها عليها برلين من وقت لآخر . وزيارة كناريس ، شيخ الجاسوسية النازية ، لاستمبول دليل قاطع على تمسك ألمانيا بأهداب سياستها حيال تركيا . ولكن لندن وموسكو عملتا على الحد من خطة النازى والقضاء عليها . فوجهتا معا مذكرة الى أنقرة صرحتا فيها بأنهما راغبتان فى أن يشمل البلاد الهدوء والطمأنينة ، وانهما لذلك تعرضان عليها كل مساعدة حربية اذا تعرضت لأى اعتداء من احدى الدول الأوروبية .

وفى ايران رفض الشاه كل العروض التى قدمتها اليه الحكومتان متذرعا بأنه فى موقف من الحياد لا يرى التحول عنه . ولكن هذا الحياد كان فى نظرهما فى مصلحة المحور . وأوعز الشاه لسفيره فى وشنجتون بأن يدلى ببيان رسمى ينكر فيه أى أثر للطابور الخامس فى ايران فصرح هذا بقوله : « وقد أمرت حكومتى بعدم دخول الأجانب الى البلاد . وموقف الحياد الذى تتمسك به هو فى مصلحة جيراننا خصوصا بريطانيا » .

ولم يطمئن الحلفاء لهذه السياسة فدخلت القوات الروسية والبريطانية معا الأراضى الايرانية يوم ٢٥ أغسطس .

وشرح مستر تشرشل لمجلس العموم هذا العمل فقال : « تبين لنا أن جماعة النـــازيين المقيمين فى ايران بصفتهم ممثلين لحكومتهم أو من رجال الأعمال أو السائحين يتآمرون لمصلحة ألمانيا ويعملون على قلب نظام الحكم والاســتيلاء على حقول الزيت الواسـعة أو تدميرها • كما أنهم يسعون الى قفل الطريق الوحيد الذى يصلنا بحلفائنا الروس وهو الطريق الذى نمدهم به بالأسلحة والذخائر • لذلك عمدنا الى احباط المؤامرة فطلبنا من حكومة ايران طردهم من البلاد • فلما عجزت لاعتبارات محلية اضطررنا الى ارسال قوات بريطانيــة وروسية كبــيرة دخلت ايران من الشمال والجنوب • وسلمت الحكومة بعد مقاومة ضعيفة • وتم القبض على رعايا المحور وترحيل ممثليه السياسيين بما يتفق ومركزهم الدبلوماسى • وهكذا أصبح للحلفاء مطلق الرقابة على طريق المواصلات من ميناء البصرة فى العراق الى بحر قزوين • وســهل عليهم امداد روسيا بكميات وافرة من العتاد الحربى من أمريكا وبريطانيا حتى لقد بلغ ما تلقته منه فى شهر مايو وحده مليون طن •

ولا شك أن المجلس يقر الحكومة على اجراءاتها حيال ايران • وهى وان كانت اجراءات جافة الا أنها فى نظرنا ضرورية لتنفيذ غايات لابد منها حالا أو مستقبلا • وباحتــلال ايران والاتصال بالجيوش الروسية فى الجنوب سهل اقامة درع قوى فى وجه الغزو الألمانى من الشرق » •

قبلت حكومة ايران الجديدة شروط الهدنة ، وألغت المفوضيات

التابعة لدول المحور ، وقبضت على رعاياه • ومع ذلك رأت لندن وموسكو أن الشاه ما زال يعارض الاجراءات التى اتخذت حيال المفوضيات ، وتبينت ميوله الظاهرة نحو المحور • فاجتمع مجلس النواب الايرانى ووافق فى جلسة سرية على تنازل الشاه عن العرش • ثم نقل هو وحاشيته الى جزيرة موريتباس حيث توفى قبل انتهاء الحرب •

وباعتلاء ولى عهده عرش البلاد اتجهت ميول ايران الى الحلفاء • وأعلنت حكومته الحرب على المحور ، وقدمت تسهيلات كبيرة ساعدت على سلامة وصول الامدادات الى روسيا •

وفى اجتمـــاع حضره الرئيس روزفلت والمارشـــال ســـتالين ومستر تشرشـــل فى طهران سنة ١٩٤٣ نوقشت تفاصيل الخطط الحربية المشتركة وقررها ثلاثتهم • فكانت من عوامل القضاء نهائيا على نفوذ المحور فى أوروبا •

حين أعلنت ايطاليا الحرب لم يكن لدى ويفل فى الصحراء أكثر من مائة ألف مقاتل وعتاد حربى قليل • فلما كان سبتمبر سنة ١٩٤١ كانت المساحة بين ليبيا وايران تزخر بأكثر من سبعمائة وخمسين ألفا بكامل معداتهم الحربية الحديثة • واذا أردت أن تعلم مبلغ اهتمام الحلفاء بالدفاع عن الشرق الأوسط فلك أن تتأمل فى ذلك الحشد الضخم الذى تم فى أقـــل من ســـنة بشـــكل لم يعرف له تاريخ الشرق مثيلا •

وكان الجيش الثامن يتألف فوق قواته الأصلية من قوات فرنسية

ويونانية وبولندية وتشكية وبلجيكية وكندية وهولندية كأنه جيش دولى يحارب فى سبيل حرية العالم • ويحدثنا كتاب « الجيش الثامن » الذى يعد من أحسن البحوث فى تاريخ قوات هذا الجيش بأن الاسم أطلق عليه للمرة الأولى فى سنة ١٩٤١ ثم غير الاسم الى « جيش النيل » وساهمت فيه قوات أخرى مختلفة من الدول التى قهرتها ألمانيا •

ما أن حل الخريف حتى زادت الاستعدادات الحربية فى الصحراء وشملت البر والبحر والجو . وعمل سلاح الجو على أن تكون له السيطرة فوق البحر الأبيض . ثم اشتد ضغط هجومه على ايطاليا وقواعد المحور فى ليبيا .

حرص جيش النيل على أن تكون ساعة هجومه سرا غير معروف . ورسم أوكنلك خطـة لمفاجأة رومل كما فعـل ويفل من قبـل مع جرازيانى . ولم يترك هذا القائد شيئا للمصادفة . وحرص على تأمين مواصلات جيوشه الجرارة فى ذلك الميـدان الليبى الذى لانهاية لامتداده .

وفى ٢٠ نوفمبر أعلنت الصحف نبـأ الهجوم الذى بدأ فى الثامن عشر من ذلك الشهر . واصطدمت قوات أوكنلك المصفحة بالقوات الايطالية والألمانية تحت امرة رومل ، موضع ثقة هتلر والذى كان من أبطال معركة فرنسا عنـد اقتحام خط ماجينو . وكان رومل يحمل كثيرا من الأوسمة التى أنعم بها عليه لخدماته الممتازة فى المدفعية الميكانيكية التى حصدت أرواح آلاف المدنيين الفرنسيين . وهو موضع شهادة الكثيرين من رجال الحرب بأنه من أنبغ المحاربين المختصين بقتال الصحراء .

لذلك كان الشـعور قويا بأن الجنرال كننجهام قائد الجيش الثامن سيواجه خصما شديد المراس . وبالفعل أظهر رومل مهارة

فائقة وحيلا بارعة ومجازفة وصلابة فى كره وفره مما اقتضته حال القتال فى الميدان الصحراوى ٠

وصلت القوات البريطانية فى ٢٠ نوفمبر الى سيدى رزق حيث اصطدمت الدبابات فى معركة شديدة استمرت أسبوعين ٠ وكانت المعركة بقيادة أوكنلك نفسه بعد اعفاء كننجهام من قيادة الجيش الثامن ٠ لأنه برغم ما امتاز به من شهرة فى معارك الحبشة لم يكن مقتنعا بنجاح خطة أوكنلك قائده العام ٠ ولا أخطر فى الحروب من تكليف قائد بتنفيذ خطة لا يؤمن بنجاحها ٠

وتمكنت حامية طبرق المحصورة فى ليلة ٢٥ — ٢٦ نوفمبر من الاتصال بالقوات النيوزيلندية بعد مقاتلة محاصريها ٠

وألقى مستر تشرشل خطابا فى مجلس العموم فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٤١ قال فيه « حين أتحدث اليكم عن معركة ليبيا أرجو أن أذكّر الكثيرين ممن افتاتوا على المذيع الحربى فى القاهرة فقالوا انه لم يلزم جانب الصدق فى اذاعته عما هو دائر فى ميدان الصحراء الغربية بأنهم لم يكونوا على حق فيما ادعوا ٠ فقد كان يتحرى الحقائق ويذيع منها ما يجوز اذاعته ٠ ولا يصح مؤاخذته على ذلك ، لأننا اذا فعلنا هذا نتناسى أن فى الشرق الأوسط جيشا لجبا يقاتل فى معارك هامة تترقب فى كثير من الاهتمام نتائجها ٠ والقتال فى ليبيا فى مد وجزر فيه الأنباء الطيبة والسيئة على السواء ٠ وفى اذاعة السّيء منهـا كما هو ضرر لأنه يضعف القوة المعنوية ويقضى على الثقة والأمل ٠

ولو أن القتال المضطرب لم يتخذ بعـد الصورة التى رجتها القيادة ، الا أنها تبعث على كثير من الأمل • ولكن روميل ما زال قويا ، ومفاجآت هذا الميدان تحدث فى أى وقت • والنصر بطبعه ليس سهل المنال • وكثير من الحوادث غير المرتقبة تحدث والأخطاء ترتكب • وتتحول الأمور الصحيحة أحيـانا الى أخطاء وتنقلب الأخطاء أحيانا أخرى الى فضائل •

وكانت الصورة التى صورها لنا قوادنا عن المعركة تختلف عما هو حادث الآن • فقالوا أن العدو يحاول الضغط بمصفحاته على قواتنا بشكل قد يقرب تقرير المصير النهائى • ولكن قواتنا أفلحت فى أن تفوت عليه غرضه عندما فاجأته ، وتقدمت من موقعها رأسا الى سيدى رزق ، وأوقعت الفوضى والاضطراب فى صفوفه •

ثم حدثت معارك عديدة مشتته غير محدودة فى مساحات واسعة من الصحراء اتصفت جميعها بالوحشية والقسوة • وعبر الجنرال ڤون رافنشتن القـائد النازى للفرقة الحادية والعشرين المصفحة بعد أن وقع أسيرا فى أيدينا تعبيرا صادقا عن حالة القتال الدائر بأنه شيء طبيعى مقبول بالنسبة لرجال التكتيك الحربى الا أنه كابوس ثقيل على القائمين على شئون الامدادات والتموين •

وعلى العكس منا تمكن العدو من استخدام مشاته على نطاق واسع ، فحشدها على طول الساحل الليبى • ولكننا من ناحيـة أخرى كنا نمتـاز عليـه بتنظيم تموين قواتنـا وعلو الروح المعنوية • ويرجع فضل حسن ادارة المعارك بالصورة التى صورتها

لكم الى شخصية الجنرال أوكنلك فلولاه لاكتفينا بمجرد الدفاع بدل الهجوم » .

وفى ٢٤ — ٢٦ نوفمبر اشتدت الأزمة . وبناء على اقتراح أوكنلك أعفى كننجهام من القيادة وحل محله الجنرال ريتشى .

وبانتهاء ديسمبر كان الجيش الثامن قد وصل فى تقدمه الى بنغازى ولاقى الجيش الأفريقى على يديه ضربات شديدة تركته يلعق جراحه فى اجدابيا . وعندما كان سقوطها مرتقبا طلعت الأخبار فجأة بأن معركة الصحراء الحقيقية لم تكن فى الواقع الا فى بدايتها . فقد تبع النجاح الذى أحرزه الجيش الثامن سلسلة من محاولات خطرة قام بها رومل انتهت فى صيف سنة ١٩٤٦ بمعركة العلمين التاريخية . وسنسرد فى اسهاب حوادث تلك الفترة التى تعد بالنسبة لمصر أحرج حوادث الحرب كلها .

يجب ألا يفوت هذا الكتاب سرد بعض المسائل الفرنسية للدور الهام الذى لعبه الفرنسيون الأحرار بعد سقوط فرنسا . وقد عرفنا أن الجالية الفرنسية فى مصر ألفت جمعية وطنية اتخذت لها مكاتب فى القاهرة وبعض المدن الكبيرة . وأضفى الجنرال كاترو على هذه الجمعية من شخصيته بما هيأ لها فرصة العمل الناجح المطرد . فكان لفرنسا الحرة جيش منظم زادت قوة رجاله المعنوية شيئا فشيئا . وكما أنشئت جمعية وطنية فى مصر كذلك تألفت جمعيتان مماثلتان فى أنقرة وأثينا ثم أخرى فى الهند وأتيح للفرنسيين الأحرار أن يشتركوا مرة أخرى فى المعارك الدائرة بين الحلفاء والمحور وفى المساهمة فى المسائل الدبلوماسية .

كان كاترو حاكما عاما للهند الصينية واستقال من منصبه عندما وافقت فيشى على تسليم هذه المنطقة الى اليابان دون قتال . وهو من أعظم من أنجبتهم الامبراطورية الفرنسية وشخصية جذابة فى خلقة بعض المحافظة . وقد امتاز بصفات خلقية نادرة وبمعرفة عميقة بالرجال . فكان لتعاونه مع الجنرال ديجول فائدة كبيرة . وقبل وظيفة فى الدرجة الثانية بالنسبة لمركزه كقائد من الطراز الأول . فقدم بهذا العمل مثلا رائعا فى الوطنية الحقة . ومجهوده فى اعلاء القوة المعنوية فى الامبراطورية يعد هو ورسالة ديجول دستورا وفصلا هاما فى النضال الذى حول الهزيمة الى نصر .

أما الجنرال ديجــول فكان رأيه من أول الأمر أن الخطــر النازى على الشرق الأوسط لا يأتى الا من ناحية تركيا وليس من الصحراء الغربية • وكانت خطة هتلر فى الواقع تطويق الشرق بكماشة أحد ذراعيها فى ليبيا والأخرى فى تركيا عنـــد الدردنيل وآسيا الصغرى ولكن مقاومة اليونان ويوغوسلافيا حالت دون تنفيذها •

وثق ديجول فى امكان الدفاع عن حدود مصر الغربية ولكنه تخوف من هجوم نازى على مصر من تركيا • فلما قامت حوادث العراق واحتل النازيون سوريا وقاموا بمناورتهم فى ايران تبين مبلغ بعد نظر ديجول •

وهو قائد ممتاز مفكر شديد الوطنية • رفض فى شجاعة الخضوع لسلطان بيتان وهتلر ، وأنكر حكومة فيشى فى وقت كان الاعدام مصير كل فرنسى يناهضها • فنادى بعصيانها وأعلن نفسه رئيسا لهيئة المقاومة ثم ما لبثت فرنسا الحرة أن اعترفت بزعامته • وأحنى له الفرنسيون هاماتهم اعترافا بأعماله المجيـــدة فى لنـــدن وأنحاء الامبراطورية الفرنسية •

وفى مناسبة العـــام الجديد ١٩٤١ أقام الجنرال كاترو حفلة استقبال فى داره بجاردن سيتى دعا اليها نحو ألف من الفرنسيين وأصدقائهم • ونظمت الجمعية مجموعة من المحاضرات عن شخصيات التاريخ الفرنسى فكانت بمثابة مظاهرة ثقافية لقيت ترحيبا من الرأى المصرى العام •

انتشرت فى بعض أجزاء الامبراطورية الفرنسية روح التسليم • وساءت حالة أملاكها فى الشرق الأقصى • ولما خشى المارشال شانج كاى شيك التدخل اليابانى وقلق على الهند الصينية عرض على حاكمها العام الذى خلف كاترو مساعدته بعشر فرق للدفاع عنها • ولكن بيتان رفض العرض بتأثير من النازيين ، وأجاب مطالب اليابانيين فاحتلوا أوسع الأملاك الفرنسية فى الشرق الأقصى دون مقاومة من الجنرال ديكو ولو على سبيل التظاهر • وتبين من هذا التسليم المشين مبلغ تأثر عقول الكثيرين من الفرنسيين بروح الهزيمة •

انظر الى تصريح لفرنسى كبير من أتباع فيشى فى مصر عند قوله : ألم تعلن فرنسا الحرب على ألمانيا ، وهل لم تكن البادئة فى العدوان ؟ اذن فلتتحمل نتيجة عملها !! •

ولم يبد المحور أى احترام لأجزاء المستعمرات الفرنسية الا لتلك التى تقف الى جانبها القوات البريطانية البرية أو البحرية • ولولا بعد هذه القوات عن الهند الصينية لما ابتلعتها اليابان لقمة سائغة •

وها هو موسولينى لم ينجح فى نزع سلاح سوريا وتونس الا بعد أن وافق بيتان على ذلك مقابل اخلاء الايطاليين للرڤييرا الفرنسية التى كانوا قد احتلوها • وما كان موسولينى يقبل هذا البدل الا لقرب الاسطول البريطانى وخوفه منه • وحتى دار لان الذى أفلت بالأسطول الفرنسى من سيطرة بعثة وايزبادن ما كان.

يمكنه أن يفعل ذلك لولا وجود سفن الأدميرال كاننجهام فى البحر الأبيض • فكان واضحا اذن أن مستقبل فرنسا وامبراطوريتها مرتبط الى حد كبير بقضية الحلفاء • كذلك فان بيتان لم ينته به الحال الذي انتهى اليه هاشا وأنطونسكو الا لأن ألمانيا وايطاليا كانتا تواجهان بريطانيا العظمى •

وكان المحور يعمل جاهدا على ايقاع الخلف بين الفرنسيين الأحرار والحلفاء لذلك رأيناه هو والطابور الخامس المنتشر فى كل مكان يتخذ من تصريح دارلان فى سياق حديثه عن حصار الحلفاء البحرى : « ان ألمانيا كانت أكثر كرما من بريطانيا حين سلمتنا مليونى طن من الحبوب كانت مجهزة لقواتها المحاربة ، فى حين صادر الأسطول البريطانى سفننا التجارية المتجهة الى الموانىء الفرنسية » • كما رأيناه يتخذ من تصريح مسيو لاقال بوجوب اعلان فرنسا الحرب على بريطانيا أداة صالحة للدعاية ضد الحلفاء وبذر بذور الشقاق بينهم وبين الفرنسيين الأحرار •

ولما اتخذت حكومة الولايات المتحدة قرارا بتسليح قوات فرنسا الحرة تنفس الفرنسيون الصعداء ، ووجه المتحدث الفرنسى من راديو لندن هذه العبارة الى بيتان : « أيها المارشال ، لقد بدأت معركة المارن الثالثة » •

وناقش رئيس الجمعية الفرنسية فى مصر المسائل السياسية والحربية مع مستر ايدن فى القاهرة • واستقبل الجنرال ديجول ، فى عودته لمصر من رحلته التفتيشية فى أفريقيا الشرقية الفرنسية

وجبهات القتال ، كل من الجنرال ويفل ومارشـــال الجو لونجمور والجنرال كاترو ومسيو ليبسى والبارون دى بنوا • وتدارس مع القواد البريطانيين كثيرا من المسائل الهامة • وصرح للصحفيين بأن القاهرة هى أهم مكان تدور منه الحرب فى الشرق ، وفيها ستتقرر نهائيا نتائج الأزمات الدولية القائمة • وأن وجوده فى مصر الآن دليل على اشتراك فرنسا الحرة فى المعركة الكبيرة بمستعمراتها ومواردها وقواتها وتأثيرها الثقافى فى العالم •

وفى تلك الآونة لعبت فيشى دورا خطيرا حين أوفدت دارلان الى برخستاجن للاتفاق مع الفوهرر على اقامة حلف فرنسى ألمانى • وكان لهذه الخطوة أثر سىء فى الشرق • ولكن صحفه سارعت الى تنبيه الأذهان بأن فيشى لم تعد تمثل فرنسا ، لأن حكومة بيتان الديكاتورية لم تستمد سلطانها الا عن طريق الهزيمة • فكانت تدين بمالها من سلطان لألمانيا وتحرص على ارضائها • ولهذا كانت القطيعة بينها وبين الشعب الفرنسى أمرا ملحوظا وحقيقة واقعة • فبقيت ميوله ديموقراطية حرة وتعلق بأمل الانتصار البريطـانى والتدخل الأمريكى •

وفى أوائل سبتمبر ألقى الجستابو القبض على الرئيس ادوارد هريو ، ذلك الشيخ الجليل الذى جاهر بصداقة فرنسا لبريطانيا والولايات المتحدة • كما قبض على مسيو لنجرون رئيس الجمعية السرية المستنهضة لهمم شباب فرنسا للثأر للوطن •

فى ذلك الوقت العصيب تعرضت اللغـة الفرنسية الى أزمة

شديدة عندما حاول عملاء المحور أن يتخذوا من هزيمة فرنسا أداة لتهديد الثقافة الفرنسية فى الشرق والقضاء عليها . ولم تلق هذه النية أى تشجيع من بريطانيا . ونشرت البورص مقالا فى هذا الموضوع جاء فيه : « يخلط بعض الناس بين المظاهر السياسية والثقافية ويظنون خطأ ان تعليم اللغة يقصر على لغة الدولة التى تستطيع كسب بعض المعارك فى الحروب . وقد انحاز بيتان الى رأى هتلر فى الزام البرامج التعليمية باللغة الألمانية . ولكنه هو وأمثاله نسوا أن مستقبل لغة دولة ما لا يعتمد الى حد كبير على نفوذها السياسى . فليس معقولا القضاء على لغة عريقة كالفرنسية لمجرد كارثة سياسية حلت بفرنسا مهما بلغت الكارثة . وقديما استولت روما على أثينا ومع ذلك بقيت اللغة الاغريقية سيدة لغات ذلك العصر » .

واللغة هى الوسيلة التى نعبر بها عن الفكر . والفكر الفرنسى غنى لا تؤثر فيه التقلبات السياسية . والأمثلة على ذلك فى تاريخ فرنسا عديدة ، فقد شهد القرن التاسع عشر عظمة فرنسا الحربية وشقاءها فى حروب الثورة وامبراطورية نابليون بونابرت ثم فى حروب ألمانيا الامبراطورية واحتلال باريز . ومع ذلك ظلت اللغة الفرنسية منتشرة فى كافة أرجاء العالم انتشارا ضرب كل رقم قياسى .

وظهر للعالم رجال الثورة الفرنسية بفلسفتهم الديمقراطية العجيبة . فاعلنوا حقوق الانسان . ونشر نابليون قانونه ، كما ظهر عباقرة الكتاب الفرنسيين بما ألفوا ودونوا . فكان لكل ذلك أثر واضح لما للغة الفرنسية من اعجاز .

والفرنسـية احدى اللغات المنتشرة فى العالم ومن أغناها نحوا وخلاصة فكر هو نتاج العقل الاغريقى والرومانى ممزوجا ومصهورا فى بوتقة العبقرية الفرنسية زهاء عشرة قرون • وقيل ان من يجهل هذه اللغة « الانسانية » كما سماها بحق ريفارول يكون غير مثقف ولا متمدين » •

ويشك بعض الذين تأثروا بهزيمة فرنسا فى مستقبل لغتهـا أو فى الفائدة من تعلمها • ولكن هؤلاء لا يعتبرون بدروس الماضى ولا يؤمنون بالنصر النهائى • فهى مثل الروح الفرنسية لا تمحوها هزيمة سياسية أو حربية • وقد تولى حكم فرنسا منذ أكثر من عام رجال غير مسئولين عمدوا الى تعذيب روحها • ولكنهم لن يستطيعوا سحقها • اذ لاسبيل الى سحق اثنين وأربعين مليون فرنسى • ولا سـبيل الى اطفاء النور الروحى أو الثقافى الذى بقى سـاطعا يشع على العالم عشرة قرون طويلة • وهاهم الفرنسيون فى كندا يعيشون منذ أربعـة قرون الى جانب اخوانهم من أصل سكسونى دون أن يفقدوا شيئا من روحهم الوطنية أو لغتهم التى يتكلمون بها منذ عهد لويس الخامس عشر •

فهل يجوز بعد ذلك أن يكفى عام أو بعض عام من الحكم النازى لافساد أخلاق الشعب الفرنسى أو تستطيع هزيمة حربية أن تطفىء الضوء الساطع الذى أضاءته أجيال كثيرة من مشاهير الرجال ؟ لا بل ستظل الفرنسية بين كثير من اللغات الحية ولها السيطرة الفكرية التى لازمتها طويلا لأنها ورثت من الصفات ما جعلها زعيمة الثقافة فى العالم » •

عندما عاد ديجول الى لندن أعلن دستور الجمعية الوطنية الفرنسية فى ٢٣ سبتمبر فكانت هذه الخطوة حاسمة فى تاريخ الجمعية أعقبها اعلان الجنرال كاترو استقلال جمهورية سوريا وانتخاب الشيخ تاج الدين رئيسا عليها •

وفى ذلك الوقت أصدرت حكومة فيشى أوامر بالقبض على الكثيرين وقدمتهم للمحاكمة فى ريوم فاعدموا بتهمة اغتيال الضباط النازيين فى نانت وبوردو ومثلت فيشى فى المحاكمة كوميديا بغيضة تنفيذا لتعليمات هتلر وكان لهذا الحكم رنة حزن وأسف فى فرنسا والبلاد التى تحبها •

كما بدأ عام ١٩٤١ بداية حسنة وانتهى بنهاية غير طيبة كذلك بدأ العام الذى يليه بمجموعة من هزائم للحلفاء ساء لها موقفهم حتى بلغ فى الصيف أسوأ الصور . ثم حدثت انتصاراتهم الفجائية فى معركتى العلمين وستالنجراد صحبها نزول القوات الأمريكيـة الانجليزية فى شمال أفريقيا واحتلالها . فكانت هذه الحوادث الهامة نقط تحول خطير فى مجرى الحرب . لذلك يمكن اعتبار عام ١٩٤٢ حاسما فى الحرب العالمية الثانية .

•

ولترتيب حوادث هذه الفترة نورد عليها تعليقا لوزير حربيـة انجلترا بقوله : « رغم ابادة ثلاثة جيوش ايطاليـة فى الصحراء والبلقان فان هتلر رسم خطة واسعة تقضى باحتلال اليونان لطرد البريطانيين من منطقة البحر الأبيض الشرقية والاستيلاء على الشرق الأوسط بحركة تطويق ضخمة . وبينما كان روميل يوجه ضرباته القوية فى ليبيا للاستيلاء على مصر أطبقت قوات نازية أخرى على جزيرة كريت وحاولت الاستيلاء على قبرص وسوريا والعراق » .

كان لهذا من جانب المحـور رد فعـل قوى فى بريطانيـا فسعت الى تقوية جيوشها فى أفريقيا استعداد لمقابلة روميل فى معركة حاسمة . وحال اقحام الجيش النازى فى حرب مع روسيا دون تنفيذ

خطة هتلر . وادعى اتباع موسولينى بأنه حذر صديقه الفوهرر من مهاجمة الروس قبل استيلاء المحور على مصر ولكنه لم يستمع لنصيحته . وذكر الادميرال فرانسى مانجيرى وزير البحرية فى حكومة بادوليو أن الدوتشى كرر النصح بالتفرغ الى الاستيلاء على وادى النيل وبسط نفوذ المحور على الشرقى الأوسط والأدنى وان رومل كان الى جانب هذا الرأى . ولكن هتلر وبعض أركان حربه آثروا المغامرة بمحاربة روسيا والتوغل فيها حتى منـاطق الاستبس المقفرة .

ولو صدق ما قيل فان موسولينى يكون بعيد النظر ، لأن ألمانيا كانت تستطيع بعد الاستيلاء على اليونان ويوغوسلافيا أن تدخل الأراضى التركية طوعا أو كرها . وأن تتقدم منها فى سهولة الى آسيا الصغرى وبغداد ودمشق . وعندئذ تستحيل المقاومة على القوات البريطانية المنتشرة فى الشرق الأوسط .

ورفض أعضاء هيئة أركان حرب القيادة الألمانيـة نصيحة موسولينى لأنهم بدأوا ينظرون اليه منذ سنة ١٩٤١ نظرتهم الى الشريك الضعيف الذى لا يؤبه لرأيه ولا يركن اليـه بعـد الهزائم المتتالية التى منى بها .

برر هتلر هجومه على روسيا بأنه وجد فيها جارة قوية تهدد سلامة بلاده فرأى أن يبادر بالقضاء عليها . وكان يعتمد فى حسابه

على سرعة الاستيلاء على موسكو وستالنجراد فيضطر الروس الى الرضوخ لشروطه ومطالبه • وبذلك لاتقف عقبة فى محاولته احتلال الشرق الأوسط •

عرفنا أن جيش النيل طارد قوات المحور الى ما وراء بنغازى حتى اجدابية وهى حصن تحوطه المستنقعات ويسهل الدفاع عنه • وكان رأى القيادة البريطانية أن الاجهاز على فلول رومل لا يتعدى بضعة أيام لأنه لم يبق له بعد هزيمته المنكرة الا ثمانون دبابة • ولكن من حسن حظ القائد النازى أنه تلقى فى سرعة غير منتظرة امدادات جديدة ضخمة وقام بهجومه المفاجىء فى حركة فنية بارعة فاق نجاحه فيه كل ما كان مرتقبا • وفى هذه الآونة هبت على غير العادة ريح باردة حولت الصحراء الى زوابع رملية وهطلت أمطار كثيفة جعلت منها لجة من الطمى فاستغل رومل هذه الظاهرة الجوية فى مصلحته استغلالا ماهرا وهاجم البردية وطريق الحلفاية عند السلوم هجوما عنيفا انتهى بسقوطهما فاتخذ منهما قاعدة لمقاومته العنيدة •

وساءت الأمور عند اجدابية • فتراجعت جحافل القوات المتحالفة خمسين ميلا أمام رومل • ودهش الناس كيف استطاع هذا القائد هجومه بعد تمزيق أوصال قواته وانسحابه بعيدا حتى اجدابية • ولكن دهشتهم زالت عندما علموا أن امدادات

ضخمة من الرجال والدبابات والطائرات كانت فى طريقها اليه غطت كل خسارته •

دفع رومل قوات جيش النيل أمامه حتى خط دفاعها الأول الممتد من موقع الغزالة الصغير المحصن • وفشل هجوم أوكنلك المضاد من هذه النقطة فتحول الموقف الى مصلحته وتابع مطاردة غريمه •

عند هذا الحد نقف قليلا لنقص تفاصيل مخاطرة جريئة قام بها رجال الكوماندوز البريطانيون عندما قررت هيئة أركان حرب الجيش البريطانى فى أواخر سنة ١٩٤١ تدمير مقر قيادة رومل على بعد مائتى ميل من الجبهة • وكلف بتنفيذ هذه العملية اللفتنانت كولونيل كيز أحد قواد الكوماندوز وابن الادميرال سير روجر كيز بطل زيبروج • واختارت لمساعدته اللفتنانت كولونيل لاى كوك وخمسين ضابطا وثلاثة وخمسين جنديا أقلتهم غواصتان الى الشاطىء الليبي • وفى ليلة ١٥ نوفمبر اتجهت القوة الى بيدا ليتوريا حيث مركز قيادة الجيش الافريقى • وعلمت الجماعة فى طريقها من رجال البدو أن رومل لا يقيم فى مقره بل فى منزل معين فى سيدى رفاعه • وفى الليلة التالية كانت على مقربة منه • فسار اليه الكولونيل كيز والكابتن كامبل والشاويش تيرى بينما أحاط الباقون بالمنزل • وكان كامبل يتكلم الألمانية كأحد أبنائها • فلما طرق الباب ونادى

فتح قليلا وصدرت منه طلقة نارية أصابته فى فخـذه وعندئذ قفز كيز واقتحم أول غرفة صادفته وأطلق على من بها رصاص مسدسه . وألقى عليها كامبل من ورائه قنبلة يدوية فى حين حصد الشاويش برصاص مدفعه التومى كل من حدثته نفسه بالخروج .

وفيما كان كيز يفعل بغرفة أخرى مثلما فعل فى الأولى أصيب برصاصة قاتلة فأفرغ تيرى رصاص مدفعه فى صدور الموجودين ثم أجهز على الباقين بقنابله اليدوية . وفى وسط الاضطراب سارع رجال الكوماندوز الى الاختفاء مخلفين وراءهم كامبل جريحا . وأفلت رومل من الموت بأعجوبة لأنه لم يكن موجودا . ونقل كامبل الى احدى مستشفيات النازى ثم فك أسره بعد الحرب ليقص علينا هذه القصة الممتعة .

أعدت برلين العدة للقيام بعمل حربى فى مالطا للقضـاء على نشاطها الذى عرقل القوافل البحرية اللازمة للجيش الأفريقى فى ذهابها وايابها بين صقليـة وليبيا . واستهدفت الجزيرة لغارات جوية شديدة مستمرة . وقامت معركة عنيفة بين المحور وبريطانيا للسيطرة على جو الجزيرة . كما تعرضت الاسكندرية هى الأخرى لغارات جوية شديدة منظمة .

وكانت التجارب قد دلت على أن رومل لا يقوم بهجوم فى الصحراء فى الصيف خصوصا فى شهر كمايو لايطيق النازيون

جوه . ولكن الجنرال سمطس صرح من القاهرة لأحد المراسلين الحربيين بأن الشرق الأوسط سيشهد حربا شعواء فى هذا الصيف .

وفى ٢٧ مايو أذاعت القيادة الحربية العليا نبأ تقدم العدو فى المساء واصطدامه بقوات الحلفاء المصفحة فبدأت المعركة المخيفة المنتظرة . وكانت برلين تتوق الى الحصول على نصر عاجل فى أى مكان يعوضها خسائرها الفادحة فى روسيا . ووجد هيتلر فى رومل خير قائد يحصل له على هذا النصر . وبالفعل رأينا هـذا القائد يقوم بجهود جبار سهلته له عبقريته المشهودة فقرب الأمل فى معسكر المحور بعد ان كاد يفقده .

ولنتتبع ما حدث نشير الى بيان مستر تشرشل الذى تلاه فى ٢ يونيه فى مجلس العموم بعد أن تلقى تقرير أوكنلك عن حالة الجبهة جاء فيه « تقدم الجنرال رومل بقواته فى مساء ٢٦ مايو بغية مفاجأة قوات الحلفاء بعد أن أصبحت له الغلبة فى العدد والعدة والطائرات . وقد تنبأنا مقدما بهذا الهجوم فأخذنا له العـدة . ويتضح من الوثائق التى حصلنا عليها أن رومل أراد بهجومه الاستيلاء على طبرق أولا . وكانت خطة القائد الاستيلاء على موقعنا الحصين فى بير حكيم التى يتولى الدفاع عنها حلفاؤنا الفرنسيون الأحرار الأبطال . ثم المضى من جنوب هذا الحصن بفرقتيه الألمانيتين الخامسة عشرة والحادية والعشرين تتبعهما عن كثب الفرقة الألمانية

المدرعة التسعون وقوة السيارات المدرعة الايطالية المؤلفة من فرقة آريت وفرقة تريست ، ومهاجمة مواقعنا الممتدة جنوبا من الشاطىء عند الغزالة الى طريق كابتزو ، وكانت فى يد الفرقة الخمسين البريطانية وفرقة جنود جنوب أفريقيا والفرقة الأولى من قوات يوركشير وجرين وهاواردز ودورهان المشاة الخفيفة •

واكتشفت طائراتنا حشدا كبيرا للعدو فهاجمته هجوما منخفضا لبضعة أيام ترك أثرا حاسما ونتج عنه فشل هجوم العدو الأخير فى ٢٧ يونيه وتحميله خسائر جسيمة فى طائراته ومدافعه المضادة • ولكنه مع ذلك جاوز بير الحكيم جنوبا ليلة ٢٦ — ٢٧ • ثم تحرك فى سرعة الى الشمال تجاه عكرومة ومنطقتى الدودة وسيدى رزق حيث اتصل بجزء من قواته الأمامية التى ما لبثت قواتنا المصفحة أن طردتها • غير أن بعض دباباته تمكنت من الوصول الى المنحدر العميق المطل على الطريق الشاطئى لعكرومة • ولكنها فشلت فى قطع المواصلة بين طبرق وقوات أفريقيا الجنوبية التى تحرس مواقعنا الأمامية •

وحاول العدو النزول فى هذه المنطقة من البحر للاتصال بدباباته ولكن قواتنا البحرية طردته • فاضطرت مصفحاته بالقرب من عكرومة الى منازلة الفرقتين المصفحتين الأولى والسابعة المؤيدتين بالدبابات البريطانية الثقيلة • وتحملت فرقة السيارات المصفحة

الهندية الثالثة ضغط الهجوم شرقى بير حكيم • وتمكنت من تحميل العدو خسائر فادحة ، وحالت دون تقدمه • كما قضت القوات الفرنسية فى بير حكيم على هجمات المصفحات الايطالية وعطلت تقدمها من الشمال • وقد قدم السلاح الجوى معاونة قيمة فى هذه العمليات •

وتحقق جزء من خطة العدو عند مهاجمته الجبهة الشمالية لمراكزنا الرئيسية جنوبى الغزالة فى ٢٧ مايو دون أن يكون لهجومه هذا أثر خطير علينا ودفع ثمنا له كثيرا من القتلى والجرحى • وحاول رومل النفاذ الى خطوط دفاعنا على طول الطريق الساحلى فى الغزالة ولكن طلائع فرقة جنود جنوب أفريقيا أوقفت هذه المحاولة • وحدث قتال بالغ العنف استمر أيام ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ مايو وتأرجحت المعركة بين مد وجزر فى مساحة واسعة من عكرومة فى الجنوب الى بير حكيم على بعد أربعين ميلا جنوبا ، ومن العادم بالقرب من طبرق الى مسافة ثلاثين ميلا ، ومن المنطقة الملغمة أمام مواقعنا • وحرصت قواتنا على ألا تترك للعدو فرصة يسترد فيها أنفاسه • ولما تحرج موقفه لقلة المؤن والماء التى لديه حاول اقتحام المنطقة الملغمة على طول الطريق الرئيسى لكابتزو بعشرة أميال الى الجنوب ، وكانت فى حراسة جنودنا الأشداء من جنوب شمالى انجلترا •

واتتهز المارشال كننجهام هـــذه الفرصة فأرسل العنان لكل ما يملكه من طائرات فهاجمت رومل هجوما منخفضا وأنزلت بقواته أفدح الخسائر ومع أن الهجوم الجوى استمر بضعة أيام الا أن العدو ظل يحاول تنفيذ خطته دون أن يتسرب اليأس الى نفسه حتى تمكن فى ليلة ٣١ مايو من اقتحام بعض مواقعنا والاستيلاء عليها بدباباته وصد كل هجوم وجهناه اليه من الشرق • ومع أن القتال لا يزال دائرا فى عنف الا أن هناك شكا فى امكان تنفيذ خطة رومل الهجوميـــة الشاملة لما تكلفه من خسائر جسيمة فى الأرواح والعتاد » •

برهنت حوادث القتال فى الصحراء على أن تفـاؤل الجهات الرسمية لم يكن فى موضعه ، اذ حصل رومل على مزايا هامة غير منتظرة بعد مجموعة من المعارك ، وأثيرت مناقشة حامية حول هذا الفصل المحزن من الحرب فى مجلس العموم اقترح فى نهايتها سير جون واردلو ــ مايلن من المحافظين سحب الثقة من الحكومة لفشلها فى ادارة دفة الحرب ، وطالب بتغيير الوزراء والقواد بغيرهم يكونون أكثر صلابة على أن تترك لهم حرية العمل فى توجيه دفة الحرب الى طريق النصر .

ولا عجب من هذا القلق الذى بدا فى اشارة النائب المحافظ . فقد سقطت طبرق فى يد المحور وأسر أفراد حاميتها الذين بلغوا ٢٥٠٠٠ ضابط وجندى . وتوغل الجيش الافريقى حتى بلغ فى ٢٩ يونيه مرسى مطروح وجاوزها فى أول يوليه حتى أبواب العلمين التى لا تبعد أكثر من أربعين ميلا من الاسكندرية .

رد مستر تشرشل على الانتقادات التى وجهت اليه فى المجلس بقوله « نعم تغير الموقف على أثر التحولات الحربية التى عانينا من جرائها كثيرا فى الاسبوع الماضى . وفقدنا خمسين ألف مقاتل وقع معظمهم فى الأسر وضاعت منا كميات ضخمة من العتاد . وتقدم

رومل أربعمائة ميل وهو يقترب الآن من دلتا النيل . ولا نستطيع أن نحكم على الآثار المترتبة عن هذه الحوادث فى مستقبل تركيا واسبانيا وفرنسا وشمال أفريقيا . وما كنا نتوقع أبدا سقوط طبرق وتسليم حاميتها بل كان سقوطها موضع الدهشة منا ومن الجنرال أوكنلك وهيئة أركان حربه . لأن قائدها أكد فى اليوم السابق لسقوطها انها من القوة بحيث تستطيع الصمود والمقاومة تسعين يوما .

واذا كان القـــائد أخطأ التقدير فمسئولية ذلك لاتقع عليه وحده بل تقع علينا نحن أيضا . وأنا نيابة عن الحكومة أتحمل نصيبى من هذه المسئولية . وقد تساءل النائب المحترم عن المصدر الذى تلقت عنه الحامية أمر التسليم هل هو من الميدان أو القاهرة أو لندن أو وشنجتون . واذا كان يتصور اننى أمرت بالتسليم من واشنجتون فيا عجبى لتفكيره الغريب . والمرجح أن الأمر قد صدر من قائد الحامية » .

كان رئيس الحكومة البريطانية فى وشنجتون حين تلقى نبأ تسليم طبرق فى ٢١ يونية . وقد تعرض لنقد لاذع من المعارضة لوجوده فى أمريكا فى مثل ذلك الوقت الحرج فأدلى بالبيان التالى ردا على الانتقاد .

« كانت وشنجتون المكان الوحيـــد الذى يجب أن أكون فيه

للاتفاق مع المسئولين هناك على أمور بالغة الأهمية تتعلق بشئون الحرب العاجلة فى الحاضر والمستقبل من وجهة النظر العامة ومسائل أخرى كثيرة تهم انجلترا . وقد أتيح لى اتخاذ قرارات مع الرئيس روزفلت ومستشاريه لا يجوز بيان تفصيلها حتى لا يلم به العدو . ولكنها تتلخص فى اتفاق أمتين عظيمتين تربطهما لغة واحدة على وجهة نظر معينة لبلوغ غاية بذاتها هى الصمود للعدو حتى تتحول دفة الحرب الى مصلحة الحلفاء مهما تكلفوا من مخاطر وتضحيات » .

وأشار الى معركة مصر فى الفترة الحرجة من أواخر مارس ونهاية ابريل بقوله « رغم هجوم المحور الجوى العنيف على مالطا فقد تمكنا من تموينها من شرق البحر الأبيض ومصر . ولم تذهب تضحياتنا للمحافظة عليها سدى فقد تسرب اليأس الى نفسه وتحول عنها بعد أن كان هجومه سببا فى عجزنا عن أن نحول دون وصول قوافله الى طربلس وبنغازى وتلقف رومل لها فى وقت كان فى أشد الحاجة اليها .

ونحن نحتاج لارسال أصغر بندقية من انجلترا الى الشرق الى أربعة أشهر بينما لم يكن طريق ارسالها بالبحر الأبيض يتعدى أسبوعا .

فلما قدر رومل بضعة أيام للاستيلاء على طبرق وتبين له خطأ تقديره غير خطته . وكان فى موقف يستطيع اقتحام مواقعنا فى سهولة بينما كان موقفنا مضطربا مختلا ، حتى لقد رد هجومنا المضاد

فى ٤ يونيه وحملنا خسائر فادحة . ثم تركزت المعركة فى بير حكيم حيث قاوم الفرنسيون الأحرار مقاومة رائعة وتقرر الانسحاب منها بعد قتال دام أسبوعا . ولا جدل ان اخلاءها كان نقطة تحول فى المعركة .

حدثت معركة أخرى حول ناتينربردج وعكرومة استمرت خمسة أيام كان القتال فيها سجالا حتى ١٣ يونيه وعظمت خسائر الجانبين . ثم حدث أن دمر فى مساء ذلك اليوم من الثلثمائة دبابة التى أرسلناها فى الصباح مائتان وثلاثون دبابة فى حين كانت خسائر العدو فى الدبابات طفيفة .

هذه حقائق أذكرها للمجلس ليحكم بما اذا كانت النتيجة ناشئة عن خطأ فى ادارة الحرب المركزية التى أعد نفسى مسئولا عنها أو انها حدثت لطوارىء لم يكن أحد يستطيع التنبؤ بها .

كان لابد أن يتفوق رومل علينا بعد أن فقدنا معظم دباباتنا فسيطر على ميدان القتال واضطررنا ازاء حرج موقفنا الى الانسحاب حتى الغزالة وأفلت من الأسر أفراد الفرقة الخمسين الانجليزية بعد أن قطعوا مائة وعشرين ميلا حول مواقع العدو الجنوبية . وقررت القيادة الاحتفاظ بطبرق مع خط الحلفاية — السلوم — كابتزو — مادالينا . ومع ذلك سقطت طبرق بعد قتال لم يدم غير يوم واحد » .

وورد فى تقرير قيادة الجيش الثامن عن ضياع هذا الحصن الهام

انه ظن فى حاميته المؤلفة من خمسة وعشرين ألفا المقـدرة على الاحتفاظ به . ولكن الواقع أن عددها لم يكن كافيا للدفاع عن مساحته التى تبلغ خمسة وعشرين ميلا . كما ان حالة الحصن لم تكن تناسب قوات الحامية خصوصا المدفعية .

نصب العدو مدافعه القوية عند الدودة فى صباح ٢٠ يونيه ، وسلط منها على الحصن نيرانه المركزة فنسفت جزءا كبيرا من الألغام المبثوثة أمامه . ولم يقدر للطائرات البريطانية حرية العمل فى الميدان لتفوق المحور الجوى . وتمكنت دبابات العدو ومصفحاته من النفاذ الى المنطقة على قنطرة صناعية أقيمت على طرف الهوة السحيقة التى أعدت لاصطيادها . وفى المسـاء تعرض الحصن لنوع الحصار الذى تعرضت له سنغافوره من قبل فعمت الفوضى فى داخله .

وفى ليلة ٢٠ — ٢١ يونيه تلقى الميجور جنزال كلوبر قائد الحاميـة أمرا بمحاولة الخروج من الحصن والافلات بقواته فان لم يستطع فعليه أن يقاتل حتى آخر رجل ولكنه فشل فى تنفيـذ الأمر . فلما تلقى فى مساء ٢١ يونية انذارا نهائيا من العدو بالتسليم وكانت رءوس رجاله قد زالت عنها كل فكرة عن المقاومة ، لم ير مندوحة من قبول الانذار . وهكذا فقد الجيش الثامن فى ساعة واحدة جزءا كبيرا من مشاته وعتاده الحربى .

كان المعروف بعـد انسحاب الجيش الثامن من خط السلوم

ـ حلفاية الى مراكزه فى مرسى مطروح أن الفيلق الافريقى لايستطيع قطع هذه المساحة الواسعة التى تزيد على مائة وخمسة وعشرين ميلا فى صحراء قاحلة محرقة لا ماء فيها قبل مضى أسبوعين . ولكن رومل تمكن فى ٢٦ يونية ، أى بعد خمسة أيام ، من الوصـــول بمصفحاته الى المواقع الجديدة . واتصلت المعركة على طول الجبهة فى ٢٧ يونية .

ومرة أخرى انسحبت قوات الحلفاء بسبب تدمير معظم دباباتها ومصفحاتها . ولكن كانت الامدادات الضخمة القيمة فى طريقها اليها . ومن أسباب الانسحاب أن القيادة البريطانية العليا كانت قد اضطرت الى نقل جانب كبير من القوات الاسترالية الى وطنها للدفاع عنه ضد الخطر اليابانى كما نقلت وحدات بريطانية هامة الى الهند بعد أن تعرضت للغزو وأبقت القوات الهندية التى كان مزمعا نقلها الى مصر .

وعاد الأمل الى النفوس حين فرغ الحلفاء من امداد الميدان الليبى من انجـلترا واجـزاء الامبراطورية وأمريكا بأكثر من ٩٥٠٠٠٠ جندى و ٤٥٠٠ دبابة و ٦٠٠٠ طائرة ٥٠٠٠ مدفع ميدان و ٥٠٠٠٠ مدفع ميكانيكى وأكثر من ١٠٠٠٠٠ سيارة .

ذكر مستر تشرشل تفصيلات مسهبة بما سردنا فى المجلس وطالب أعضاءه بتقدير جهود الحكومة . ودلل على أن أداة الحرب

المركزية لم تكن فاشلة . ثم شرح فى تفصيل ما حدث فى ميدان القتال ، وذكر أن ضعف القيادة كان من العوامل التى أدت بالمعركة فى سنة ١٩٤٢ الى الحالة السيئة التى كانت عليها . قال « عند بدء المعركة طلبت من الجنرال أوكنلك أن يتولاها بنفسه لما أعهده فيه من استعداد طبيعى لمثل هذا العمل الضخم . ولكنه اعتذر لأسباب أبداها وقبلتها . ورشح للقيادة الجنرال ريتشى . ومن الصعب تكوين رأى قاطع لما حدث بعد ذلك وأدى الى تغيير فى القيادة . غير اننى أميل الى أن الحكومة يجب أن تقف سدا منيعا بين نقد الرأى العام وقيادة الجيش البرية والبحرية والجوية . وأن تمنح القواد فرصة وأكثر من فرصة . لأن الرجال قد يرتكبون أخطاء يستفيدون بنتائجها ويتعلمون منها . وقد يصادفهم سوء الحظ الذى لايلبث الموقف أن يغيره لمصلحتهم . وليس لنا أن نطالب قوادنا بمخاطرات معينة مالم نجعلهم يشعرون بأنهم موضع الثقة وليسوا محل الانتقاد . ولا يصح أن نشغلهم بأمور غير الاهتمام بالعدو . كذلك فليس من حق المجلس أن يطالب الحكومة بأعمال على جانب كبير من الخطورة دون أن يشعرها باخلاص النفوس التى تؤيدها وقوة الأغلبية التى تسندها . بل له أن يقدر التبعات الضخمة التى على عاتقها فى هذه الظروف الحرجة العصيبة . والحكومات فى أزمان الحرب تعجز عن الحصول على ما تريد ان لم تؤيد وتمنح مطلق الثقة . ويباشر الجنرال أوكنلك اليوم المعركة .

وليس لدى من الأخبار غير أنه تمكن بالأمس من رد هجوم قوى للعدو • وقد أكدت له ثقة الحكومة وأجزم لكم أنها ثقة فى محلها » •

وقفل باب المناقشة وأعلن المجلس ثقته بالحكومة بأغلبية ٤٧٥ صوتا ضد ٢٥ صوتا •

كان لابد أن يقوم الجيش الثامن بخطوة حاسمة ينقذ بها موقفه السيء الذى وصل اليه . وأذاع الجنرال أوكنلك على جنوده فى أمره اليومى هذا النداء الحماسى « قاتلتم ، ضباط الجيش الثامن وجنوده قتالا عنيفا متواصلا زهاء شهرين بذلتم فيه أقصى ما يبذل المحاربون الأبطال ، وتحملتم خسائر كبيرة ، وكان سوء الحظ نصيبكم لتفوق العدو عليكم بمصفحاته . ولكن الا فأعلموا أن العدو تحمل هو الآخر خسارة فادحة . وبدأت قوته تضعف ومواصلاته تطول. وعلينا أن نتضافر فنبذل مجهودا أكبر لانقاذ مصر وسحق المعتدين . وانكم لباذلون فى القتال جهودا تبلغون بها غايتكم . فشددوا عليه هجومكم وضيقوا الخناق حيثما وجدتموه . فالمعركة لم تنته بعد ولن تنتهى قبل هزيمته المحتومة .

وكان للنداء أثره اذ احتلت القوات المتحالفة الطريق المنحدر بين العلمين والقطاره . وكانت هذه البقعة التى سميت « رقبة الزجاجة » مسرحا لعمليات حربية استمرت أربعة أشهر ، وانتهت بانتصار يعد من الانتصارات الحاسمة فى الحرب العالمية الثانية . كما كانت من خطوط الدفاع الهامة لحسن موقعها الاستراتيجى اذ يمتد البحر عند أحد جانبيها وتقوم رمال الصحراء الغائرة التى

لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها لاستحالة السير عليها عند الجانب الآخر • وفى هذا المكان جهز أوكنلك سبل دفاعه •

وكان لابد لرومل من اقتحام خط العلمين • وقرر اقتحامه وأكد وهو فى برلين أنه مسيطر على أبواب مصر ومفاتيحها • ثم بدأ هجومه العام فى ٢ يوليه ولكنه سرعان ما ارتد أمام قوة الهجوم المضاد الذى قامت به القوات المصفحة المتحركة بمعاونة سلاح الطيران الذى قدم مجهودا جبارا أبقى على مصر من أن تسقط فى يد المحور •

وفى ٦ يوليه بدأت المعركة من جديد • وأصلت مدفعية الحلفاء المهاجمين بنيرانها المركزة • ونشطت أعمال الدوريات ليلا ونهارا • واستمرت بين الجيشين مبارزات لعدة أيام انتهت على عكس ما كان منتظرا الى هجوم عام للجيش الثامن •

وفى ١٠ يوليه تقدمت القوات الاسترالية قبيل الفجر على طول الخط الحديدى الممتد من العلمين الى تل عيسى وثبتت أقدامها فى مساحة خمسة أميال ثم تمكنت من صد هجوم قوى للفيلق الأفريقى ومدفعيته •

فشل رومل اذن بعد استيلاء الحلفاء على تل عيسى فى محاولته الاتجاه جنوبا على حافة رمال القطارة المخيفة • وسيطر أوكنلك على الموقف فى طول الجبهة وعرضها ونكل السلاح الجوى بتجمعات الفرق الألمانية ورد هجوما مضادا لها على تل عيسى •

وبدأت المعركة مرة أخرى فى ١٤ يوليه • ورأى رومل أنه لا مندوحة له من تغيير خطته باستعادة تل عيسى مهما كلفه ذلك • وبعد جملة محاولات تمكن من استردادها وحدث نزال عنيف بين دبابات الفريقين فقد فيها رومل ستا وأربعين دبابة •

وفى المدة من ١٤ — ١٩ يوليه أسر الحلفاء ٤٠٠٠ أسير ، ونشطت أعمال القاذفات الأمريكية — التى ظهرت لأول مرة — فوق طبرق ، ثم خيم على الجبهة من ٢٠ يوليه سكون لا تقطعه الا الغارات الجوية على خطوط رومل الخلفية • وما لبث الحلفاء أن سيطروا على الجو بعد أن أنزلوا بمطارات المحور فى برقة أضرارا بالغة •

وفى ٢١ — ٢٢ يوليه وجه رومل هجوما قويا من تل عيسى وطرخه • وبالغت برلين فى نتيجة الهجوم وادعت أنه الأخير لبلوغ الدلتا • وضرب الأسطول البريطانى بدوره حشدا عظيما للمحور فى مرسى مطروح ليلة ٢٢ — ٢٣ يوليه •

واستيقظت الجبهة فجأة فى ٢٦ — ٢٧ يوليه على هجوم لاوكنلك بمعاونة السلاح الجوى ثم سادها مرة أخرى فترة هدوء تخللتها مبارزة مستمرة من مدفعية الجانبين •

ثم خيم سكون ظن فيه أن رومل وقد يئس من تقدم جديد قرر تثبيت قدمه انتظارا لمدد آخر • وفى ذلك الوقت سمعنا همسا حول ستالنجراد ما لبث أن تحول الى دوى ملأ أسماع العالم •

وفى ٤ و ٥ أغسطس زاد نشاط الدوريات ومبارزة المدفعية .
ونشرت الأهرام فى عدد ٢١ أغسطس برقية من لندن بأن رومل
الذى أنعم عليه بالمارشالية بعد سقوط طبرق فى يده طار الى
برلين يشكو لهتلر الصعوبة التى تحيط بجيشه فى الصحراء .
بينما تلا مستر ليتلتون فى مجلس العموم بيانا قال فيه « تحول
القتال فى الصحراء من حرب متحركة الى نوع منظم من قتال
الخنادق . وليس فى العالم كله مثيل لميدان الصحراء الغربية ،
فهو قاحل شديد الحرارة خانق الجو كثير الذباب وأمرض
الصحراء . وكان المحور يمتاز علينا بقصر خطوط
مواصلاته وسهولة وصول امداداته من شمال أفريقيا . أما الآن
فقد طالت مواصلاته وصعب تموينه .

- ٣٠ -

لم يحدث حتى منتصف أغسطس شيء غير عادى فى العلمين • تلك البقعة الصحراوية الغامضة التى بلغت شهرتها فى العالم ، ما بلغته « شومان دى دام » و « التل رقم ٦٠ » فى الحرب العالمية الأولى •

وزار مستر تشرشل مصر بعد فراغه من مشاوراته الحربية مع المارشال ستالين فى موسكو • وانتقل الى ميدان القتال ودرس الموقف عن كثب وفوض الجنرال الكسندر ، خليفة أوكنلك ، حرية العمل من قبل حكومة جلالة الملك •

وكان قد بلغ هيئة أركان حرب الجيش البريطانى تجهز رومل لهجوم جديد • فاتخذت العدة لمقابلته كما أقامت فى القاهرة وسائل دفاعية فعالة للاستفادة بها فى حالة نجاح هجوم المحور •

وألقى مستر تشرشل يوم ٨ سبتمبر بيانا فى مجلس العموم عن زيارته لمصر قال فيه « كان لدى من الأسباب ما جعلنى أعتقد بأن حالة جيش الصحراء والقوات البريطانية فى مصر لم تكن مرضية لأن هذا الجيش فقد منذ مايو ٨٠٠٠٠ جندى وانسحب لأكثر من ٤٠٠ ميل ومنى بخسائر كبيرة فى الذخائر وأدوات النقل استعان بها رومل فى تقدمه السريع المفاجىء بعد الاستيلاء عليها فى المعارك حول الغزالة وأثناء انسحابنا حتى العلمين •

ولكن الجنرال أوكنلك تمكن مع ذلك من تثبيت قدميه فى العلمين وتنظيم قواته واتباع طريقة القتال فى جماعات صغيرة متفرقة بدل التشكيلات الكبيرة مما هو من مستلزمات حروب الصحراء الآن .

وتبين لى مما شهدته فى الميدان أن الضباط والجنود يقاتلون بروح عالية وتصميم أكيد على سحق العدو . فتساءلت لماذا حالف سوء الحظ رجالا هذه روحهم وذلك تضميمهم فظهر لى أن جيش الصحراء فى حاجة الى تعديل شامل فى قيادته العليا وقوى من هذه الفكرة ملاحظات أبداها كل من رئيس هيئة أركان حرب الجيش البريطانى والفيلد مارشال سمطس بوجوب التعديل .

وبعد بحث طويل قدمت لمجلس الوزراء اقتراحات تتلخص فى استبدال الجنرال أوكنلك بالجنرال الكسندر فى القيادة العليا بالشرق الأوسط وتنصيب الجنرال جوت قائدا للجيش الثامن . ولكن جوت لقى حتفه وهو فى طريقه لتسلم منصبه . فأحللنا مكانه الجنرال مونتجمرى الذى يقود الآن الجيش الثامن . وهو من خيرة جنودنا ، وكنا فى حاجة شديدة اليه فى انجلترا لغايات معينة ولكننا ازاء التهديد المستمر فى معركة الصحراء اضطررنا الى تكليفه بعمله الجديد . ويؤلف الكسندر ومونتجمرى وماك كرى ، الاخصائى بقيادة فرق الدبابات ، الفريق الذى نحن فى حاجة اليه

اليوم فى الميدان . وقد صحب هذا التغيير بالطبع تعديلات أخرى . وربما يكون ما فعلناه مؤلما لبعض النفوس ولكن فى أوقات الحروب تجوز التضحية بالشعور واتخاذ أفضل الاجراءات دون نظر للأشخاص .

وهاهى حالة جيش الصحراء قد تحسنت كثيرا بفضل ما تلقاه من تعزيزات ضخمة من الرجال والعتاد نقلت اليه على سفن أعارها لنا الرئيس روزفلت . فأصبح لنا فى مصر جيش لجب مسلح بأحدث الأسلحة وأوفرها يستطيع أن يصد أى تقدم جديد للغزاة . أضف الى ذلك أننا تمكنا من اغراق كثير من غواصات المحور وسفنه التى تنقل الى روميل ماهو فى حاجة اليه من عون وتمكن سلاحنا الجوى من أن يترك أثرا فعالا فى اضعاف قوات العدو .

وتمتاز حرب الصحراء بكثرة الجيوش المقاتلة وعظم ما لديها من وسائل النقل وبقلة الأماكن الصالحة للايواء . فهى ضئيلة مبعثرة فى منحدرات واسعة وسهول غير محدودة لا يفصل بينها هنا أو هناك الا خط رملى أو نتوء صخرى . لذلك لم يجرؤ روميل على اقتحام مواقع الجيش الثامن بعد أن قوى الى هذا الحد . فعمد الى تكرار مناوراته فى الغزالة ولكنه قوبل بنيران مركزه من مدافعنا ومصفحاتنا وطائراتنا . وهاهى نتيجة القتال فى الأسبوع الماضى تبشر بالأمل الذى نرجوه .

وللجيش الثامن قوة كبيرة فى سلاحه الجوى الذى قدم للوحدات المختلفة أكبر العون • ويقيم قواد الأسلحة البرية والجوية المختلفة سويا ويعسكرون فى مركز القيادة المتحرك •

وقد خرجت من زيارتى للميدان بثقة لا تتزعزع عن أعمال الجيش الثامن الممتازة وجهود أفراده الصادقة وصبرهم العجيب • وأكبرت روحهم العالية وحرصهم الطبيعى رغم نوع الحياة التى يقضونها فى صحراء شمسها محرقة وضوؤها خاطف وبرد ليلها قارص ، ولذلك لم أجد مثل هذا الجيش أحق بالنصر •

وفوق ما أدخلناه على القيادة من تعديل رأينا من المنطق حيال ما تنوء به قيادة الشرق الأوسط من تبعات ثقال للواجبات الاضافية الملقاة عليها الى جانب واجبها الأصلى أن نرفع عنها رعاية شئوننا العسكرية فى ايران والعراق ونكلها الى قيادة جديدة مقرها البصرة وبغداد حيث يرابط الجيش العاشر نصبنا عليها السير هنرى متلاند ويلسون •

خلفنـا وزارة سرى باشا تناضل الصعوبات التى كانت فى ازدياد مستمر • فأزمة التموين واطراد زيادة أسعار الحاجيات وانعدام البضائع المستوردة ونشاط السوق السوداء الذى جعل الطبقات الفقيرة فى حالة من الضنك ظاهرة كل هذه المسائل كان على الحكومة أن تعالجها بعزم وفى سرعة •

وحاولت بادىء ذى بدء حل أزمة الغلاء بمنح علاوات لموظفيها من ذوى المرتبات الضئيلة • ولكن هذا الحل كان محدود الغاية • فأهابت بذوى اليسار لتقديم ما لديهم من حبوب مخزونة ليمكن اطعام الشعب • وضرب جلالة الملك المعظم مثلا رائعا فى الوطنية فأمر بوضع الحبـوب المخزونة فى المزارع الملكيـة تحت تصرف الحكومة لهذا الغرض •

ثم تبين أن علاج الحكومة بهذه الكيفية لم يكن مجديا اذ تعرضت طبقة الزراع الصغيرة والمتوسطة لارهاق رجال الادارة فى الأقاليم بالزامهم تقـديم التزاماتهم عينا بدلا من المـال • وانتهز بعض المتحكمين فى سوق الحبوب هذه الفرصة فأخذوا يعملون على الاثراء على حساب الشعب تحت ستار الاحسان •

وكانت وسائل النقل مضطربة بشكل عام حتى صعب نقل

الحبوب من الأقاليم الى المدن بالسرعة المطلوبة • وانتقدت المعارضة فى البرلمان سياسة الحكومة حيال شئون التموين ولخص اسماعيل صدقى باشا الموقف فذكر أن العجز فى محصول الحبوب بلغ سنة ١٩٤١ مليونى اردب من القمح ومليونا ونصف من الذرة • وقال أن مرجع ذلك قصر النظر لمواصلة زراعة القطن بعد قيام الحرب سنة ١٩٣٩ وتناسى وجوب قصر الزراعة على الحبوب فى أوقات الحرب بدليل زيادة محصولها بعد تخفيض مساحة القطن الى الثلث • وذكر أن واجب الحكومات كان يقضى باستيراد الحبوب من الخارج عندما كانت وسائل النقل ميسرة قبل اشتراك ايطاليا فى الحرب وتحول الشرق الأوسط الى ميدان قتال •

وقدر صدقى باشا محصول القمح فى العام الماضى بتسعة ملايين أردب وقال انه لم يزد فى العام التالى على سبعة ملايين ونصف • وطالب علاجا للحالة أن تطالب انجلترا بمساعدة مصر فى استيراد العجز • كما ذكر أن من أسباب الأزمة وجود القوات المتحالفة فى مصر وتقديم نحو نصف مليون أردب من القمح اليها ، واستهلاكها ما يقرب من ٥٠٠٠ أردب شهريا خارج ثكناتها •

ورد رئيس الحكومة على المعارضة بأن الأرقام التى ذكرها صدقى باشا مبالغ فيها وأن مصر لم تقدم لقوات الجيش البريطانى غير ٧٠٠٠ أردب وأن القدر الذى ذكره دولته يكفى لاطعام مليون جندى فى الثكنات وخارجها •

ورغم هذا التصريح الرسمى واصل الطابور الخامس اذاعة الشائعات عن « نهب » مصر . وكانت مصدرا خصيبا لمكاتب أنباء المحور عن قصص المجاعة والثورة .

كان لابد من حل لأزمة الحبوب حتى تواصل المخابز تقديم الرغيف للشعب . وكان الزراع قد أخفوا محاصيلهم من الحبوب لبيعها بأسعار مرتفعة . فكانت الأزمة فى الواقع نفسية ترجع الى ظروف مشتركة تتلخص فى اجازة تصدير الحبوب بعد قيام الحرب ثم فى صعوبة استيرادها من البلاد الواقعة فيما وراء البحار وفى عدم التناسق بين السعر والطلب وفى اهمال تنفيذ فكرة تخفيض المساحة التى تزرع قطنا وفى اضطراب الأسواق نتيجة لتحريم نقل الحبوب من مديرية لأخرى .

لذلك قررت الحكومة أن تقوم بعمل حازم فمنعت زراعة القطن فى مديريات معينة وألزمتها بقصر الزراعة على الحبوب ، فجنت البلاد زيادة كبيرة فيها . ثم عرضت على الزراع أسعارا مغرية للحبوب المخزونة ، فخرجت الى الأسواق . وبذلك أمكن حل الأزمة وحصلت الحكومة على ثقة البرلمان بالاجماع .

واجهت الوزارة أزمة أخرى عندما استقال سعادة عبد الحميد بدوى باشا من منصبه وبقيت وزارة المالية دون وزير مدة طويلة لصعوبة اختيار خلف له . فلما تولاها رئيس الوزراء فوق أعماله

الكثيرة الأخرى زادت حدة الأزمة • وناقش البرلمان الموضوع فى شىء من العنف واستطاعت الحكومة مواجهتها مواجهة طيبة •

ثم لاحقتها أزمة أخرى أشد خطرا فى سياستها الخارجية عندما قررت وقف العلاقات الدبلوماسية بفرنسا فى ٦ يناير • وكانت مصر قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية برومانيا والمجر وبلغـاريا لانضمامها الى المحور • أما فرنسا فكانت تختلف عن مثل هذه الدول • فالشعبان المصرى والفرنسى لم يدخرا مدة قرنين كاملين وسعا فى توثيق العلاقات بين البلدين وكان الود أظهر مافى هذه العلاقات • لذلك لم ينظر المصريون الى رجال فيشى نظرة اللوم التى نظرها اليهم العالم كله بل أطلقوا على ممثل بيتان فى مصر لقب « وزير فرنسا » وكانت شخصية مسيو بوزى السفير المفـوض الجذابة وروحه السمحة وأخلاقه الكاملة محل تقدير فى الشرق الذى قضى فيه زمنا طويلا فى تركيا وايران ومصر • ولم يبد منه ما يضر بقضية الحلفاء •

كان لوقف العلاقة الدبلوماسية بفرنسا أثر عميق فى نفوس الأصدقاء من المصريين والفرنسيين ، وسبب لمناقشة حية فى الدوائر السياسية والأندية • ذلك لأن ثقافة كثير من المصريين الممتازين فى عالم السياسة والأعمال ثقافة فرنسية ، فشغل موقف الحكومة بالهم • ولم يفتها هذه المعارضة القوية فعجلت بنشر بيان على لسان

وزارة الخارجية بالأسباب التى دعتها الى اتخاذ قرارها قالت فيه :
« قطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية بكافة الدول التى فى حرب مع بريطانيا العظمى . ولو أن فرنسا ليست فى الواقع فى حرب معها الا أنها فى موقف يجعلها طوعا أو كرها فى تعاون مع دول المحور . وقد شكت الحليفة مرارا من موقف مصر حيال فرنسا بسبب ما قد يترتب على وجود ممثلين لفيشى فى مصر من اخطار مباشرة على قواتها الحربية . وأرادت الحكومة بادىء الأمر أن تتلافى قطع العلاقات التامة بين البلدين فاكتفت باتخاذ اجراءات معينة ضد العناصر الخطرة أو المشبوهة . ولكن تبين لها عدم امكان تطبيق هذه الاجراءات بصفة عامة . فقصرت عملها على مجرد وقف العلاقات دون قطعها . ولن يترتب على ذلك أى اضرار بمصالح الفرنسيين المقيمين فى البلاد كما هو الحال مع رعايا الدول التى قطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية بها » .

ثم عادت الحكومة فنشرت على الجمهور أسباب وقف العلاقات بما يلى : تبين أن فيشى تقدم معاونة ملموسة لجيوش المحور فى طرابلس عن طريق تونس . كما ظهر أن سفن فرنسا التجارية تنقل اليها المؤن والذخيرة . وأصبح الفرنسيون الأحرار بقيادة ديجول فى حاجة الى اتخاذ مثل هذا الاجراء تشجيعا لهم فكان وقف العلاقات مع فيشى تأكيدا من الحكومة لمساعدتهم الأدبية ومعاونتهم المادية .

ومع ذلك قدم بعض المعارضين استجوابات كان أهمها الاستجواب المقدم من اسماعيل صدقى باشا استند فيه على النقط التالية :

١ — ليست فى المعاهدة مادة تستند عليها الحكومة فى اتخاذ مثل هذه التدابير حيال دولة ليست فى حرب مع الحليفة .

٢ — تدل المعلومات المستقاة من لندن على أن الحكومة فى فيشى تقاوم الضغط الألمانى وتناضل ضد النازية ، وهذا يتنافى مع فكرة تعاونها مع المحور .

٣ — لم تتخذ اجراءات ضد المصريين المقيمين فى فرنسا ولم يعاملوا معاملة عدائية من جانب السلطات الفرنسية كما أن ممثلى مصر فى فيشى موضع احترام تام . ولم يبد على مسلك السفارة الفرنسية فى القاهرة ما يتعارض ومصلحة الحليفتين .

والحكومة باتخاذها قرارها لم تنظر بعين الاعتبار الى الخدمات الممتازة ، التى أدتها فرنسا وتؤديها لمصر من الناحية الثقافية والمالية والسياسية ، وهى خدمات شدت من قبل أزر مؤسس الأسرة المالكة وساعدت على تحرير مصر من التبعيته العثمانية وعلى تأمين استقلالها .

ولم تكن للحكومة حيلة فى الرجوع عن قرارها لما قيل من أن سلامة الجيوش المتحالفة كانت فى خطر . وكان يحيط بمسيو بوزو رجال يميلون صراحة الى المحور هم موظفو السفارة .

ومع ذلك لم يؤثر وقف العلاقات بفيشى فى حالة المؤسسات الفرنسية فى وادى النيل • وبعد اغلاق المفوضية الفرنسية بدأنا نلمس نشاط الجمعية الوطنية فكانت مكاتبها تعتمد تصاريح السفر وتقوم بأعمال القنصلية ثم تدرجت حتى أصبحت « مفوضية » حقيقية احتفلت فى خريف سنة ١٩٤٤ برفع علم فرنسا المثلث الألوان مرة أخرى على مبنى السفارة •

الى جانب المشاكل الداخلية المختلفة التى لاحقت حكومة سرى باشا استحوذ عليها قلق شديد من جراء الموقف الخارجى • وكان الشرق الأوسط وقتئذ أحد مراكز الحرب الحيوية ؛ احتشدت فيه جيوش قوامها مليون جندى فى مساحة امتدت من الصحراء الغربية حتى حدود القوقاز • وكما عرفنا اندفع رومل حوالى آخر يناير من اجدابية حتى العلمين • وتطلع أولوا الأمر من الساسة البريطانيين بعين القلق الى الموقف السياسى الذى استجد فى القاهرة حين بدت الحكومة غير قادرة على علاج المشاكل القائمة ، وكان أكثر ما يهمهم تأمين مؤخرة قواتهم المحاربة •

وتقدمت السلطات الانجليزية الى الحكومة بمذكرة طالبت فيها بالقبض على بعض من اعتقدت أنهم يعملون على اثارة الاضطراب فى العاصمة ظنا بوشوك دخول الغزاة البلاد • وكانت الحالة تستدعى حلا عاجلا لأن الطابور الخامس استطاع اضرام الشغب فى شوارع القاهرة واستأجر بعض من هتفوا بحياة رومل تهيئة لاستقبال الغزاة عند دخولهم العاصمة •

ولم تكن المدن الكبيرة طهرت تماما من العناصر الفاشية المستترة ومن عملاء الحكومات الديكتاتورية فى الغرب والشرق الذين

أفلتوا من الرقابة وواصلوا نشاطهم الخفى فى همة ظاهرة • وكان معظم من أودعوا المعتقلات الخاصة من رعايا المحور يسمح لهم بزيارة أهليهم أو يطلق سراحهم فتابعوا نشاطهم الذى ظهر أثره فى الشوارع والمقاهى • ولم يهدأ هذا النشاط الا بعد أن تبين لهم أن الفيلق الألمانى لن يبلغ القاهرة •

وفى ٢ فبراير قدمت وزارة سرى باشا استقالتها وتشرف السفير البريطانى ورئيس هيئة أركان حرب القوات البريطانية فى مصر بمقابلة جلالة الملك المعظم والتمسا منه اجراء تعديل شامل فى الحكومة ابقاء على مصلحة الديموقراطية فى الشرق • فواجهت البلاد من هذا الطلب موقفا حرجا أشفق الجميع من نتائجه وخيف من أن يكون بداية لتدخل بريطانى •

فى هذه الظروف الدقيقة الحرجة عالج جلالة الملك الموقف بحكمته وبعد نظره فاتخذ بعد مشاورة الزعماء قرارا أنقذ به البلاد فى فترة حرجة من فترات الحروب الحاسمة • وليس لنا أن نتعرض الى تفاصيل هذه الحقبة من تاريخ مصر بل نترك للتاريخ وحده الحكم النهائى فيها •

لم يرد فى خطاب الاستقالة ايضاح عن سببها واكتفى رئيس الحكومة بالاشارة الى ثقل الحمل والحاجة الى الراحة • وفى اليوم التالى نشرت الصحف مقالات تشيد برئيس الحكومةولقبته بالوطنى

العظيم . وذكرت انه رغم ما أحاط بحكومته فى الأربعة عشر شهرا التى حكم فيها من أزمات عسكرية واقتصادية ودبلوماسية فانه عالجها أحسن علاج وحفظ على الدولة كرامتها وعلى البلاد مصلحتها وتحمل فى شجاعة ويقظة مسئوليات ضخمة ونجح فى ادارة دفة السفينة وسط الأنواء والعواصف فى حذق ومهارة فجنب مصر ويلات عانتها معظم أمم العالم . وامتازت خدماته للوطن والمليك بالوطنية والنزاهة والولاء .

ولنا أن نذكر أن ما حدث من تغيير فى الحكم انما أملته ظروف قاهرة لمصلحة بريطانيا والحلفاء بعد الخوف الذى ركب النفوس من وطأة خطر الغزو بشكل لم يعرف مثله التاريخ الحديث . وكان على كل حال حادثا لم تتتأثر به مصر تأثرا خطرا يوازى ما حل بكثير من الدول . واضطرت الدولة الى قبوله تحت ضغط الظروف العامة التي كان لابد فيها من تضحية المصالح الخاصة . واذا كان لابد من القاء مسئولية ما حدث على أحد فيجب أن يكون المسئول الوحيد الطابور الخامس الخفى الذى أراد أن يلعب بآخر ورقة فى يده ظنا منه أن ساعة انتصار رومل قد حلت .

صدر مرسوم ملكى بتشكيل وزارة جديدة ، ويلمس القارىء من عبارات وثيقته القلق الذى كان مستحوذا فى تلك الفترة الدقيقة « عزيزى مصطفى النحاس باشا . لما نلمسه فيكم من حكمة

وكفاءة واخلاص يسرنا أن نكلفكم بتشكيل الوزارة . ومصر وطننا العزيز فى أشد الحاجة اليوم الى بذل المجهود وتوحيد الكلمة وجمع القوى والتضحية لتأمين كيانها ورفع قدرها والعمل على رفاهية شعبها . ونرجو أن يحقق الله هذه الآمال بلطفه ومعونته » .

وسارع رئيس الحكومة فوجه خطابا رسميا الى السفير البريطانى جاء فيه « تفضل جلالة الملك المعظم بمقتضى حق جلالته الدستورى فكلفنى بتشكيل وزارة جديدة . وصدوعا للأمر الملكى قبلت المسئولية الكبيرة وألفت الوزارة . وأحب أن تعلموا سعادتكم انني ما قبلت هذا المنصب الخطير الا على أساس واحد هو أنه ليس من حق الحكومة البريطانية بناء على نص المعاهدة ومركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة أن تتدخل فى شئون البلاد الداخلية خصوصا فيما يتعلق بتشكيل الوزارات أو اقالتها فذلك من حق جلالة الملك الدستورى وحده . وآمل أن تصدر حكومتكم تأكيدا لوجهة نظرنا هذه حتى تتقارب روابط الصداقة التى تربطنا بها المعاهدة » .

وفى اليوم نفسه تلقى رفعته توكيدا من السفير بأن سياسة حكومة جلالة الملك لحرص على بقاء التعاون الخالص مع حكومة مصر كدولة مستقلة ذات سيادة وحليفة تربط المعاهدة بينهما برباط وثيق دون أى تدخل منها فى شئونها الداخلية أو فى تأليف حكوماتها أو تعديلها .

طهر نشر الكتابين المتبادلين الجو مما شابه من فتور فى العلاقات بين الدولتين وألقى رئيس الحكومة خطابا فى النادى السعدى قال فيه « سيكون أول عمل لنا حل البرلمان القائم • وليس معنى ذلك أننا نقيم حكومة ديكتاتورية بل سنعمل بمعاونة مجلس ينتخب أعضاؤه انتخابا حرا » •

وفى ٧ فبراير صدر مرسوم ملكى بحل البرلمان وتعيين رئيس الحكومة حاكما عسكريا منح سلطة « اتخاذ كافة الاجراءات الكفيلة بتأكيد سلامة البلاد واقرار النظام فى أرجاء المملكة » •

ووافق يوم ١١ فبراير ١٩٤٢ العيد الثانى بعد العشرين للميلاد الملكى السعيد • فكان فرصة طيبة لابداء الشعب شعوره نحو مليكه بعد التغير الذى حدث • ولهذه المناسبة أذاع رئيس الوزراء رسالة وطنية قال فيها : « اننا نحتفل بهذا العيد السعيد وسط مظاهر الولاء للعرش • ولست أقول جديدا اذا حاولت أن أعدد مناقب جلالة الملك فاروق الأول وصفاته النبيلة والخير الذى تناله البلاد على يديه مما يلمسه جميع المصريين • ومن هذه الصفات شدة حب جلالته لشعبه حبا يملأ جوانح قلبه الكبير ذلك الحب الذى يظهر فى سهر جلالته على مصلحة البلاد والنهوض بها واسعادها » •

وفى الواقع لم تترك الأمة فرصة دون انتهازها لاظهار ولائها

للعرش المفدى • فاجتمعت آلاف الوفود من كافة أرجاء المملكة فى ساحة عابدين أمام القصر فى مظاهرات لم تشهد البـلاد مثلها منذ حفلات التتويج • وكان لهذا التعلق الشديد من الشعب لمليكه أثر كبير فى نفس جلالته فأذاع عليه رسالة ملكية تفيض عباراتها بالعطف والحب جاء فيها : « شعبى العزيز • ان مما يثلج صدرى هذه المظاهر التى عبرتم بها شعبا وحكومة عن فرحكم وسروركم لمناسبة عيد ميلادى • وهى أثمن هدية تقدمونها الى فى هذه المناسبة وستبقى ذكراها عالقة دائما فى نفسى أذكرها فأذكر شعوركم الجميل نحوى ، وحبكم الخالص لى ، مما يدفعنى الى بذل قصارى جهدى لتأكيد سعادتكم ورفع شأن بلادى • فلكم على هذا الحب والالتفاف بى شكرى •

شعبى النبيل — فى هذه اللحظة التى حجبت فيها جموعكم ساحة قصرى ودوت أصواتكم قوية تردد اسمى خرجت اليكم أرد تحيتكم وكان بودى مصافحة كل منكم • وقد قنعت بنظرة ألقيتها عليكم جميعا ثم رددتها الى الله عز وجل وسألته أن يعيننى لأبلغ بكم ماتصبون اليه من آمال •

شعبى المحبوب — ان السعادة الحقة التى يحظى بها ملك من الملوك هى تلك التى يجدها فى حب شعبه له وأحمد الله أن لى فى قلوبكم عرشا أفخر به وأضحى من أجله بأعز ما عندى • أسأل

الله القدير أن يمنح مصر الخالدة حياة سعيدة ورقيا وسلاما دائمين » •

رأت الحكومة أن تضع حدا لأزمة الغذاء فقررت شراء كافة المخزون من الحبوب بأسعار عالية • فكان لهذا القرار ولما قيل عن وصول كميات كبيرة منها من الخارج أثره فى السوق السوداء فحد من نشاطها وسارع الزراع الى عرض ما لديهم فبلغ ما بيع مليون أردب •

وشكل وزير المالية مكرم عبيد باشا مجلسا استشاريا للتموين منحته الحكومة سلطة الرقابة المطلقة • وقبل متابعة سياسة الحكومة الداخلية نشير الى تقرير البنك الأهلى عن سنة ١٩٤١ وضعه سعادة على الشمسى باشا رئيس مجلس ادارته وهو وثيقة هامة عن حالة البلاد المالية فى ذلك الوقت جاء فيه « من ذلك نرى أن حالة البلاد المالية تدعو الى تمام الرضاء • وقد نتجت هذه الحالة عن تدفق رأس المال الأجنبى الى البلاد من شراء القطن فى الصفقة التى عقدت مع الحكومة البريطانية فى الموسمين الماضيين ، ومن الانتعاش الحاصل نتيجة لتسرب أموال القوات المتحالفة الى الأسواق المصرية • ويمكن قياس مدى هذا التقدم بالنظر الى أرباح الشركات الصناعية الرئيسية التى تضاعفت منذ قيام الحرب رغم زيادة مصروفاتها ودلّ نشاط العملة على التقدم

الذى نلمسه فى صناعاتنا المحلية واطراد زيادته على ما كان عليه فى السنوات السابقة • وما كادت تنقضى على الحرب خمس سنوات حتى وصل هذا التقدم المالى درجة أصبحت معها مصر دائنة لبريطانيا بثلثمائة مليون جنيه » •

ما أن حل البرلمان حتى شغلت البلاد بالانتخابات التى كان لابد من اتمامها فى خلال ستين يوما من اعلانها حسب نص الدستور • وأعلنت الأحزاب مقاطعتها معتذرة بقيام الحكم العسكرى والرقابة مما يحول دون منافستها لحزب الوفد فى الحرية المطلوبة • ولما كان رئيس الحكومة دائم المطالبة بحرية الانتخابات حينما لا يكون الوفد فى الحكم فقد حرص على التصريح بأن حالة الحرب القائمة لا تؤثر فى الشئون الديموقراطية أو تسبب اضطرابها •

وانتخب أكثر من مائة عضو بالتزكية وحصل الوفد بعد تنحى المعارضة على ٢٣٤ مقعدا ونال المستقلون الثلاثين مقعدا الباقية • وحرم المجلس من عنصر المعارضة فكان ذلك من أسباب ضعف الحكومة عندما اصطدمت بكثير من المصاعب الداخلية والخارجية • ولم تكن الاتهامات التى وجهت الى حزب الوفد بعد اقالة الوزارة فى اكتوبر سنة ١٩٤٤ الا أثرا من آثار الحكم المطلق الذى كان له •

تقدم رفعة النحاس باشا للبرلمان بسلطته السياسية الواسعة

ببرنامج ضخم • وامتازت الدورة البرلمانية الثامنة بطابع خاص يختلف عن التقاليد التى تمتاز بها عادة الدول الملكية • واحتفل بافتتاح البرلمان بينما كانت المعركة الحربية دائرة على أميال قليلة من العاصمة • وكان خطـاب العرش طويلا على جانب كبير من الأهمية • فامتدح النظام الدستورى وسياسة الحكمة التى سارت عليها الحكومات حتى مكنت الأمة من الوصول الى بر الأمان سالمة • وذكر أن الحكومة بعد أن وطدت دعائم النظم الديموقراطية وجهت عنايتها الى المسائل الاقتصادية فنجحت فى سياسة توزيع الغذاء والكساء على المدن والقرى • وعملت على تنشيط استيراد المنتوجات الضرورية من الخارج • وتحديد الصادرات وبيع محصول القطن بسعر حسن ، وموازنة الميزانية • واعفاء صغار الزراع البالغ عددهم ١,٣٠٠,٠٠٠ من الضرائب ومساعدة غيرهم وعددهم ٢,٥٠٠,٠٠٠ بتوزيع العمـل عليهم • وبيـع أراضى الحكومة ، وتحسين المنتوجات الصناعية وتأكيد الرقابة على أسعار الحاجيات والاهتمام بتحسين الصحة وتجميل المصايف ومراقبة الأمن ورفع مستوى الصحافة وتوسيع التعليم وادخال اصلاحات اجتماعيـة جديدة وتقوية الجيش وروح الصداقة بين مصر وحليفتها والدول العربية •

عندما اندفع رومل فى هجومه الكبير على الاسكندرية كانت الصداقة المصرية الانجليزية قد بلغت أوجها بعد الفتور الذى اعتراها • وكان الاحتفال السنوى التقليدى لكلية فكتوريا فرصة لالقاء كلمات عن الموقف السياسى والعلاقات المتبادلة بين البلدين • فخطب كل من رئيس الحكومة والسفير مؤكدين تلك الصداقة •

ومن الحوادث الداخلية الهامة القبض على رفعة على ماهر باشا وتشديد الرقابة على بعض الشخصيات الكبيرة واغلاق نادى السيارات الملكى •

وفى مايو وصل مستر كيزى وزير الدولة خلفا لمستر ليتلتون فعنى بدراسة الموقف الحربى الذى تطلب تدخلا عاجلا من وزارة الحرب ثم بدراسة مسائل التموين جملة • وكان محصول الحبوب ضئيلا فى المساحات الزراعية المحصورة بين النيل والفرات وبين خليج العجم وبحر قزوين وأغار الجراد على المزارع فهبت الحكومات لمحاربة هذه الحشرة التى تعد من ألد أعداء الزراعة فى الشرق •

وشكل وزير الدولة البريطانى لجنة لشئون التموين فى الشرق الأوسط برئاسته جعل مقرها القاهرة من مندوبين عن تركيا وسوريا وآسيا الصغرى وفلسطين ومصر والسودان وارتريا وأثيوبيا

وبلاد العرب السعودية وعدن والعراق وايران وشرق أفريقيا مهمتها توزيع محصولات الشرق الأوسط وتبادلها على أساس تجارى دقيق مع مراعاة نظم التموين والتعاون التجارى بين الدول المنتجة والمستهلكة دون أن يؤثر ذلك فى مجهود الحلفاء الحربى فى تلك المناطق . وكانت غايته من ذلك رفع الحمل عن عاتق النقل البحرى بتوزيع محصول الحبوب بين الدول المشتركة .وفعلا رأينا هذا النظام يخفف كثيرا عن وسائل النقل التى كانت مشغولة بالأعمال الحربية ويشجع المنتوجات الصناعية المحلية .

وفى آخر مايو استقال رفعة رئيس الوزراء ثم ألف وزارة جديدة ليس مكرم عبيد باشا بين أعضائها لعدم الانسجام بينهما . وأدرك العارفون ببواطن الأمور ما كان بين الصديقين القديمين من خلاف ما لبث أن انتهى الى انفصال تام بينهما . وبدأ مكرم باشا يناوىء رئيسه بالأمس مناوأة بلغت حد العنف الذى لم يعرفه الوفد بين أشد معارضيه . وكلنا نعرف تفاصيل ما حدث ونشر الكتاب الاسود بقصد التشهير بالحكومة واعتقال ناشره ثم سقوط الحكومة فى خريف سنة ١٩٤٤ .

كانت الحرب مستعرة فى ذلك الوقت فى ليبيا . واستعاد رومل كثيرا من البلاد والمواقع التى فقدها فى الشتاء حتى وصلت قواته الى بير حكيم وعكرومه . وأعجبنا بدفاع الفرنسيين الأحرار عن

بير حكيم وأشدنا ببطولتهم . فلما كفت المقاومة وانسحبت حاميتها بناء على أمر القيادة العامة خالجنا القلق لما علمنا من سير الأمور فى غير مصلحة الحلفاء خصوصا بعد سقوط طبرق ومواصلة انسحاب الجيش الثامن . ومع كل ذلك صرح رفعة رئيس الحكومة فى المجلس بأنه على اتصال دائم بالسلطات البريطانية وانه قد تأكد له ارتياحه لحالة القتال وتصميم الحلفاء على وقف تقدم روميل مهما كلفهم ذلك من تضحية . كما صرح بأنه بسبيل وضع حد لأعمال الطابور الخامس الذى يسعى الى الحط من روح السكان المعنوية . وحذر من تصديق الأقاويل والاشاعات ، وهدد بالعقوبة الصارمة كل من يقوم بنصيب فى هذا النشاط . كما طالب بالتبليغ عن عملاء المحور وجواسيسه لأن هذا العمل واجب وطنى على كل فرد . ونفى اشاعة مطالبة الحليفة باعلان مصر الحرب أو بايفاد قوات مصرية الى ميادين القتال . وأكد أنه يعمل على تجنيب البلاد ويلات الحرب وعلى تطبيق شروط المعاهدة نصا وروحا .

ومع القلق الذى ساور النفوس بتقدم زحف روميل حتى مرسا مطروح لم تأل الصحافة جهدا لتهدئة الشعب . وصدر أمر عسكرى بانزال العقوبة بالصحف التى تذيع أخبارا كاذبة أو تعمل على زعزعة الثقة . فكان أهم ما عنيت به الحكومة هو تأمين سلامة البلاد والابقاء على هدوئها .

وتشرف الوزير الأول بمقابلة جلالة الملك لمناقشته فى الاحتمالات التى قد تنجم عن أى تقدم جديد لرومل • وكان بين ما بحثه جلالته عرض السلطات البريطانية أمر انتقال البلاط وسمو ولى العهد وأعضاء الحكومة الى الخرطوم • وبالفعل جهزت طائرات لتكون تحت تصرف الشخصيات الكبيرة • ورفض جلالته العرض وصرح بنيته مشاطرة شعبه المصير •

أما الدبلوماسيون الأجانب والشخصيات التى خافت سوء العاقبة عند دخول الغزاة القاهرة فقد ارتحلوا من المدن الكبرى وأحرقت المفوضيات أوراق أرشيفها حتى لا تقع فى يد المحور • وغادر مصر كثيرون من مختلف الجنسيات الى فلسطين وسوريا ولبنان والسودان وجنوب أفريقيا •

ان تلك الأيام التى مرت بالقاهرة لا يمكن محوها من الذاكرة • ولكنها لم تكن على كل حال بالصورة التى رسمتها برلين حين وصفت الحالة فى مدن مصر الكبرى بأنها حالة ذعر شديد واضطراب عام وفوضى ، حتى أن الحكومة أسقط فى يدها ولم تعد تسيطر على الموقف •

ولكن الواقع ، بشهادة الصحف الانجليزية ، أن المصريين برهنوا فى هذه الفترة الحرجة التى مرت بهم على شجاعة وثبات وجسن نظام وهدوء • ولم يبد على مسلكهم أى عيب فى وقت اعتقد الجميع أن رومل على وشك دخول الأسكندرية •

بقى الموقف حرجا حتى يوم ٣ يوليـه • وفى جلسة سرية للبرلمان قرر الموافقة على مااتخذته الحكومة من اجراءات لحفظ النظام • ولما اشتدت أزمة العلمين ترك الهدوء الذى احتفظت به البـلاد أثرا قويا فى لندن فأعجبت بموقف المصريين رغم نشاط الطابور الخامس الذى لم يعرف الكلل أملا فى ايجاد الفوضى وخلق جو لظهور كويسلنج مصرى •

وفى يوم ٣ يوليه نشرت الصحف مقـالات تحت عنـوان « العلمين ما زالت صامدة » ثم كان ٤ يوليه يوم فخر وانتصار لسلاح الحلفاء الجوى اذ أوقع بالسلاح الجـوى النازى هزيمة منكرة • وفى يومى ٥ و ٦ يوليه اتجه الموقف الى التحسن وقام أوكنلك بهجوم مضاد ناجح وبدأت الثقة تعود الى النفوس شيئا فشيئا • ثم ما لبثت الأخبار أن ترامت بأن هجوم رومل مهما بلغت شدته قد تحطم نهائيا على حائط دفاع القوات المتحالفة •

وقرر لمصر النجاة من خطر مروع كان يهددها باستمرار تهديدا كاد يبلغ حد اليأس من النجاة حتى لقد منح المديريون سلطات استثنائية واسعة لادارة أقاليمهم اذا تم للغزاة محاولة قطع الصلة بينهم وبين الحكومة المركزية فى القاهرة •

قبل أن نواصل سرد حوادث القتال فى صحراء ليبيا ذلك القتال الذى أحرز به الكسندر ومونتجمرى النصر النهائى على رومل نتجه الى ميدان آخر هام هو الميدان الروسى .

وفى الاحتفال بذكرى تأسيس الجيش الأحمر ألقى المارشال ستالين خطابا فى ٢٣ فبراير ١٩٤٢ قال فيه « للمرة الثانية يهب الجيش الأحمر للذود عن حياض بلاده . وكانت المرة الأولى فى ٢٣ فبراير ١٩١٨ عندما طرد جحافل الألمان من باسكوف ونارفا . وها هى الآن القوات النازية تشن علينا هجوما مفاجئا غادرا بأمل القضاء على قوتنا . ولكن برلين أخطأت الظن وجهلت مقدار ما لنا من جيوش جرارة قوية ومواقع منيعة ، وما لشعبنا من ارادة حديدية لكسب المعركة . وكان على جيوشنا فى الأشهر الأولى من الحرب أن تنسحب أمام الهجوم مع بذل الجهد فى اضعاف قوة الغزاة . فكالت لهم الطعنات بشكل لم تشهد بمثل قوتها تاريخ الحروب . ولا يبدو الى الظن انسحابنا كان تاما بل هو انسحاب وقتى تنفيذا لخطة مرسومة الغرض منها حشد قواتنا وتعزيزها بالرجال والعتاد . فلما تم لنا ما أردناه رجعنا الى العدو فهاجمناه بدورنا وأحللنا به الهزيمة فى روستوف وتخفين والقرم وموسكو . وطردنا

حشد البرابرة من مداخل العاصمة بعد أن كادوا يحتلونها . ولم تعد للنازيين ميزة المفاجأة . وهم لا يملكون الآن العوامل التى تقرر عادة مصير الحروب بل نملكها نحن بصمودنا فى مواقعنا وراء الجبهة ، وبعلو روح جنودنا المعنوية ، وبوفرة جيوشنا ، وحسن تجهيزها وتنظيمها وقيادتها . وسيحل قريبا اليوم الذى يتقرر فيه هجوم الجيش الأحمر لطرد العدو من ليننجراد وروسيا البيضاء وأكرانيا وليتوانيا ولتفيا وكاريليا والقرم . وليس معنى ذلك أن الهزيمة حلت نهائيا بقوات العدو فهى ما زالت قوية . وعلينا واجبات ثقيلة بمضاعفة المجهود . ونحن ندافع عن قضية سليمة نخوض فى سبيلها غمار معارك طاحنة . ولسنا نحمل لأحد الأجناس حقدا أو كرها لذلك فان النصر سيكون حليفنا » .

وترسم لنا هذه العبارات صورة صادقة للموقف زاده تفسيرا خطاب ألقاه القائد السوفيتى الأعلى فى ٦ نوفمبر ١٩٤٢ قال فيه « قدرت القوات المهاجمة بنحو مليونى جندى . ولم تكن غاية هجومها كما ذكرت بعض الصحف الأجنبية رغبة الألمان فى الحصول على حقول الزيت فى جروزنى وباكو فى القوقاز بل كانت الغاية من تجمع بعضها فى القوقاز تحويل النظر عن موسكو حتى يمكن الاحاطة بها وقطع مواصلاتها بقواعدنا فى الأورال والفلجا تمهيدا للاستيلاء عليها والقضاء على الاتحاد السوفيتى . وظنت قيادة

الجيش الألمانى أنها تخدعنا بهذه المناورة فنسرع الى سحب قواتنا الاحتياطية الى الجنوب لمواجهة الهجوم وبذلك يضعف الدفاع عن العاصمة . ذلك هو سر الحشد تجاه التيرول وستالنجراد . وقد عثرنا مع أحد الضباط المأسورين على جدول بمواعيـد زيارة هتلر لمدن روسيا بعد الانتصار الألمانى . ودلت المعلومات الأكيدة التى حصلنا عليها على محاولة العدو اضعاف جبهة موسكو حتى يسهل عليه احتلالها . وأمل هتلر بهـذه المناورة انهـاء الحرب الروسية قبل حلول شتاء ١٩٤٢ — ١٩٤٣ غير أن الدفاع المجيد عن ستالنجراد قلب حساب هتلر رأسا على عقب » .

كانت روسيا تلح على الحلفاء لفتح جبهة ثانية فى غرب أوروبا حتى يقل الضغط على الجيش الأحمر . ولكن انشغال بريطانيـا بحروبها فى الشرق الأوسط والأقصى واستعداد أمريكا الطويل لغزو شمال أفريقيا وسعيها فى زيادة منتوجها الصناعى والحربى حال دون تمكن نزول قوات الحلفـاء فى شـواطىء فرنسا فى ذلك الحين .

ذكر ستالين انه انما يطالب بفتح جبهة ثانية لأن حالة الهجوم الألمانى تختلف فى الحرب الحالية عنها فى الحرب العالمية الأولى . فلم تكن ألمانيا تحارب فى سنة ١٩١٨ بأكثر من ٢٢٠ فرقة ساهمت ٨٥ منها فى الجبهة الروسية . كما أنها كانت تقاتل فى جبهتين .

وكان بين فرقهـا المحاربة فى روسيا ٣٧ فرقة من النمسا والمجر وفرقتان من بلغاريا وثلاث من تركيا • فى حين يتـألف الجيش الألمانى الآن من ٢٥٦ فرقة تشترك منها فى الميدان الروسى ١٧٩ فرقة نازية و ٢٢ رومانية و ١٤ فنلندية و ١٠ فرق ايطالية و ١٣ فرقة مجرية وفرقتان سلوفاكية وأسبانية ، وهكذا تبدلت الأوضاع فى الحربين • وذكر أنه لا يجوز المقارنة بين الغزو الحالى وغزو نابليون الذى لم تزد قواته على ١٤٠٠٠٠ مقاتل بينما يواجه الروس ثلاثة ملايين من جنود المحور مجهزين بأحدث الأسلحة وأفتكها •

ولاشك أن نجاح مقاومة روسيا لهذه الجحافل الجبارة وتمكنها من اضعاف قوة ألمانيا الحربية راجع الى موقع البـلاد الجغرافى واتساع مناطق الاستبس والمنبع الذى لا ينضب من الرجال وأرضها الغنية بالمعادن •

وصدرت أوامر موسكو الى جيوشها بسحق الجيوش النازية المتراجعة حتى لا تعود الى الهجوم فى الربيع • لذلك شهدت مدن أوريل وكورسيك وخاركوف على نهر الدونتز معارك دامية قوامها الشجاعة والبطولة • وتتبع الناس قاصيهم ودانيهم فى اعجاب أخبار انتصـارات زوكوف وفورشيلوف وتيموشنكو وبودينى وغيرهم ، تلك الانتصارات لم يكن أحد يحلم بحدوثها •

بدت فى برلين روح من القلق لموقف القتال فى روسيا ولم

يعد العالم يسمع من محطاتها اللاسلكية عبارات التفاخر والزهو وما أنزلته ألمانيا بعدوها من ضربات شاملة ، والقضاء على قواته ولا « ولم يشهد التاريخ هذا الحشد الذى حشدناه للقضاء على البلشفية » ولا « قربت نهاية الجمهورية السوفيتية » . بل سمع العالم هتلر يعترف بأنه لم يكن يستطيع التنبؤ بحالة الشتاء الروسى سنة ١٩٤٢ ووفرة الجيش الأحمر فى رجاله بهذه الملايين وسوء الحظ الذى أخذ يحالف الجيوش النازية .

وفى ابريل واصل الألمان هجومهم فى جميع الجبهات ، غير أن الهجوم الجديد امتاز ببعض الفتور والتراخى الذى لم يكن من صفات الجيوش النازية فى أوروبا وفى روسيا عند بدء الغزو . وفضل ذلك راجع الى حدة الشتاء الروسى الذى أباد وحده من قوات المحور ٣٠٠٠٠٠ جندى ، والى كثرة ما تلقته روسيا من دبابات حتى تساوت بها مع ألمانيا ، والى عدد ما كان يفقده هتلر من الرجال فى الهجوم الروسى الشتوى المضاد اذ بلغ ٥٠٠٠٠ جندى أسبوعيا . والى ما تلقاه الجيش الأحمر من مساعدات قيمة من السلاح الجوى البريطانى عندما أغار فى عنف غارات موفقة على المراكز والمدن الحربية والصناعية فى ألمانيا .

ثم قام هتلر بهجوم نهائى فى مايو سنة ١٩٤٢ وهو الهجوم الذى مهد له وأمل فى نجاحه . فاندفع بقوات ضخمة فى الجنوب

والقرم ومنطقة الدونتز . ولاحظ العارفون أن هذا الهجوم امتاز بالبطء والفتور رغم ضخامته . وفى الوقت الذى أحاط الفوهرر بموسكو بحشوده أرسل الجنرال باولوس على رأس قوات كبيرة لاحتلال ستالنجراد . وكانت الخطة أن يتفق هذا الهجوم الكبير مع هجـوم رومل على السويس حتى يمكن محاصرة الشرق الأوسط فيما بين وادى النيل وايران بحركة التفاف واسعة فتتقابل جيوش المحور المنتصرة هنا وهناك فى نقطة معينة . ولكن الجيش الثامن تمكن من القضاء على أحد فكى الكماشة فى العلمين كما استطاع الجيش الأحمر بعد ذلك القضاء على فكها الآخـر فى ستالنجراد . ولهذا كانت معركتا العلمين وستالنجراد من معارك الحرب العالمية الثانية الحاسمة .

تحملت سباستبول فى يونيه أعنف ما عرفه تاريخ الحروب من هجوم وقاومته مقـاومة تدعو الى كثير من الاعجاب ، وكانت قيادة الجيش الروسى قد قررت المحافظة على هذا الثغر الهام لأنه يقف حجر عثرة فى وجه التقدم الى القوقاز . كذلك قاومت كرسك وفورونتز وهما مفتاحا حـوض نهر الدون فى الشمال هجمات النازى القوية .

وفيما كانت هذه المعركة تتأرجح بين صعود وهبوط اشتد الهجوم الروسى المضاد لاضعاف قوات الجنرال فون بوك . ولم

تشهد ميادين روسيا المختلفة مثل تلك المعارك الدامية الشديدة التى وقعت عند وادى الدون • ورغم المقاومة الفذة والهجوم المضاد العنيف تمكن النازيون من مواصلة تقدمهم متحملين أفدح الخسائر• فاستولوا فى آخر يوليه على روستوف • وهال ذلك المارشال ستالين فأصدر أمرا صريحا الى قواته جاء فيه « لا انسحاب بعد الآن • احتفظوا بمواقعكم ولا خطوة أخرى الى الوراء » • وظلت معركة ستالنجراد ثمانية أيام أهم أخبار العالم • وتقدم تيموشنكو بقوات احتياطية كبيرة لانقاذ المدينة واشتد القتال وبلغ ذروته فى منحنى الدون غربى ستالنجراد •

استمات الروس ابتداء من أغسطس فى الدفاع عن المدن الصناعية الكبرى الواقعة على نهر الفلجا ، فحد ذلك من شدة اندفاع الألمان • وشلت المدفعية السوفيتية نشاط الدبابات الألمانية بما أقامته من سياج نارى قوى • وثارت ثورة فون بوك لهذه المقاومة العنيدة فاندفع الى القوقاز مخاطرا بنفسه وبقواته ، واستولى فى زحفه على كراسنودار • وتحمست برلين لهذا الانتصار وأذاعت فى زهو أن معركة كبيرة تدور أمام ستالنجراد فى مصلحة ألمانيا • وواصل النازيون تقدمهم الى نوفوروسيك على البحر الأسود وفورشيلوفسك داخل القوقاز ثم فورشيلو فجراد •

رغم هذه الانتصارات الألمانيــة ظلت الأنظــار متجهة الى ستالنجراد التى صدر عنها أمر ستالين بالاستماتة فى الدفاع حتى النهاية • ومع شدة المقاومة اقتحمت القوات الألمانيــة مداخل المدينة ودارت معارك دامية فى شوارعها استمرت الليل والنهار • وظن فون بوك أنه بالغ قلبها • وقام تيموشنكو ، الذى أخــذ يقترب بقواته من الشمال والجنوب ، بمجهود ضــائع لانقــاذ الحامية المحصورة فى مدينة تلتهب بما تساقط عليهــا من سيل قنابل القاذفات والمدافع مــدة أربعين يوما حتى امتزج هواؤها بالدخان والنار • ولم تكن الجبهــة خطــا منتظما للقتــال بل كانت متداخلة بعضها فى بعض • واشتد تدفق الغزاة حتى وصل الى الفلجا •

وفى أوائل أكتوبر أفلح تيموشنكو الذى كان يتقدم نحو المدينة فى بطء ولكن بقدم ثابتة فى توجيه هجمات متلاحقة بقصد الاتصال بالحامية وتخليص المدينة من الحصار • وفى ١٦ أكتوبر استمع العالم الى برلين وهى تذيع لأول مرة اعترافا بأن القتال فى الجبهة الروسية لم تعد له صفة الهجوم القوى الذى امتاز به • فكان ذلك القول دليلا على بدء تحسن الموقف الروسى • وفى الواقع لم تتمكن القوات النازية التى دخلت المدينة فى محاولاتها الضخمة خلال الثمانى والأربعين ساعة الأخيرة من الاستيلاء على أكثر من

مبنى واحد سرعان ما استرده رجال الحامية بعـد أيام ثلاثة .
وفى أواخر أكتوبر كان جيش الخلاص بقيادة الجنرال رود ينشيف يتقدم مسرعا لمساعدة الحامية فى صراعها العنيف الباسل .

وفى ٨ نوفمبر حين كان مونتجمرى يتابع انتصـاره فى برقة وردت أنباء بنزول قوات أمريكية وانجليزية فى شمال افريقيا .
وقـد وصف ستالين هـذا العمل بأنه حدث هام عظيم ، ودليل على ما للحلفـاء من قوة ، ونقطة تحول ، وعلامة على قرب انهزام المحور .

أما فى القوقاز فقد تحولت المعركة نهائيا الى مصلحة المدافعين مماحدا بالألمان الى العـدول عن متابعـة هجومهم رغم ضرباتهم الشديدة التى وجهوها الى أورزنيكيدز وفالديكا فى قلب القوقاز .
وواصلت القوات السوفيتية الضـغط على أعدائها فى ستالنجراد بعد أن تفوقت عليهم فكان ذلك بداية النهاية . واختفى السلاح الجوى النازى من الميدان الروسى بصفة غير مألوفة . وتحولت ستالنجراد بالتدريج الى ميدان كبير لمعركة تتحكم فيها نيران المدفعية السوفيتية بعد أن تلقت امدادات ضخمة . وأحيط بقوات نازية قوامها ٣٠٠٠٠٠ جندى احاطة تامة . وتقلصت جهود هتلر بالتدريج الى محاولة فاشلة للخروج بقواته المحصورة من الحلقة الحديدية المضروبة حولها . وعبثا حاول تموينها من الجو . وسـاء موقف

الجنرال باولوس حتى اذا كانت أواخــر ديسمبر كان تســليمه منتظرا بين لحظة وأخرى .

وفى فبراير من العام الجديد أعلن ستالين بيانا قال فيــه أن ساعة النصر تقترب وذكر أن عدد من قتل من جنود المحور فى معركة روسيا بلغ أربعة ملايين وأن عدد من أسر فى ستالنجراد وحدها بلغ ٣٣٠٠٠٠ أسير .

ومن ذلك الوقت أيقن هتلر وموسولينى وأذنابهما أنهم خسروا الحرب فى روسيا وأفريقيا والبحر الأبيض . ثم بدأت الولايات المتحدة تنزل فى الميادين قوات ضخمة وأسلحة حــديثة فتاكة . وفصل الرئيس روزفلت برنامج التسليح الأمريكى لعام ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ فى بيان تلاه على الكونجرس فى ٦ ينــاير ١٩٤٢ فذكر الأرقام التالية : ٦٠٠٠٠ طائرة و ٤٥٠٠٠ دبابة و ٨ مليون طن من السفن تزاد فى سنة ١٩٤٣ الى ١٢٥٠٠٠ طائرة و ٧٥٠٠٠ دبابه و ١٠مليون طن من السفن فكانت هذه الأرقام المخيفة قاضية على آمال برلين وروما وطوكيو . كما كانت فجرا جديدا للدول المتحدة أزاحت عن كاهلها حملا ثقيلا من الخــوف والقلق من سيطرة الديكتاتورية على العالم .

فى آخر ديسمبر ١٩٤١ ألقى مستر تشرشل فى البرلمان الكندى بلغة فرنسية صحيحة بيانا قال فيه « ان الأمة الفرنسية العظيمة تنهض مرة أخرى فى أنحاء فرنسا غير المحتلة وينبعث فى قلبهـا أمل جديد بانشاء جيوشها التى يتدرب رجالها فى حركة مبـاركة على فنون الحرب الحديثة • وسيلعب الشعب الفرنسى دوره الذى يتفق مع ما قرره من تصميم على استعادة مكانة فرنسا اللائقـة بها كوحدة فى مجموعة الأمم المحبة للحرية » •

ومن ينظر الى خريطة فرنسا أو يتصفح تاريخها يعلم أن هذه الدولة تعتبر عاملا قويا فى سلامة العالم •

وأثار قرار حكومة فيشى بحرمان البارون دى بنوا من جنسيته بتهمة تحريض جنود السفن الحربية الفرنسية فى المياه المصرية على التخلى عن واجباتهم ، والسعى الى القبض على رعايا فرنسا ، ثورة الجمعية الوطنية الفرنسية • فاجتمع أعضاؤها وناقشوا قرار حكومة فيشى وأصدروا قرارهم بتأييد موقف البارون الذى لم يحرض الجنود ولم يسع الى اعتقال الفرنسيين فى مصر • ولم يكن جنود السفن فى حاجة الى من يحضهم على رفض أوامر فيشى الخاضعة لبرلين • وكان البارون على عكس ما اتهم به دائم السعى لاخلاء

سبيل المعتقلين من الفرنسيين دائبا على اقناع السلطات بأنه ليس لهم أى نشاط يمس قضية الحلفاء بسوء وليس فى مسلكهم ما يهدد سلامة مصر .

ولم تكن فيشى تقصد بحرمانها ممثل ديجول فى الشرق الأوسط من جنسيته الا تنفيذ مناورة وضعتها برلين فى وقت زادت فيه قوة الجيوش المتحالفة والفرنسية الحرة وذلك للتقليل من شأنه كرئيس لشركة قناة السويس رغبة فى الاستيلاء على نصيب فرنسا من سندات الشركة . وكان دى بنوا وأعضاء لجنة الشركة فى لندن ، وهم المعترف بهم رسميا من دول العالم ، حائلا دون تنفيذ رغبات الريخ .

ولحسن حظ فرنسا أخذ نجم ديجول يسطع . فكان هتلر كلما حاول الاستفادة من الهدنة أو من حكومة بيتان يجد المقاومة المسلحة والمعارضة الروحية بزعامة ديجول تقوى فى وجهه وتشتد ، ويتسع نفوذ ديجول وتقوى حركته . فلما فرض لافال على فرنسا يحكمها بوحى من برلين أوفدت الولايات المتحدة الى مقر قيادة ديجول مندوبا رسميا عنهــا تعزيزا لشأنه واحتجاجا على فرض لافال على الشعب الفرنسى . ثم ازداد سلطان الجمعية الوطنيــة الفرنسية باعتراف بريطانيا وروسيا وغيرهما بها اعترافا رسميا كما اعترفت واشنجتون بنفوذ فرنسا الحرة على المستعمرات الفرنسية

فى المحيط الباسفيكى وأفريقيا • وازداد تحول الرأى العام الدولى عن سياسة « لننظر ونرتقب » بعد الاستعراض المحزن الذى مثله رجال فيشى فى محاكمة ريوم •

وليس أدل على التعاون بين فيشى وبرلين من حوادث مدغشقر التى بدأت فى ٥ مايو • اذ رأت بريطانيا أنه لابد من الوقوف فى وجه اليابان اذا أرادت القيام بعمل عدائى من قاعدة الأسطول الفرنسى فى ميناء دييجو سواريز فى مدغشقر • لذلك أسرعت الى ايفاد حملة عسكرية نزل رجالها بشاطىء الجزيرة • وحرص قائدها على اقناع الحاكم بأن النية غير متجهة الى أى تدخل فى شئون مدغشقر السياسية باعتبارها جزء من الامبراطورية الفرنسية • وأن مهمته لا تتعدى منع تحرك الأسطول الفرنسى الذى استدعته فيشى وعدم تمكين اليابان من الاستيلاء على الجزيرة التى لا تبعد أكثر من ٦٠٠ ميل من شاطىء أفريقيا الجنوبى أو الاستيلاء على مطارها الكبير الذى تستطيع منه نشر مظلة جوية واسعة تحمى بها محاولة غزو شواطىء أفريقيا الشرقية عن طريق البحر وبذلك يسهل عليها التحكم فى ديربان وتهديد جنوب أفريقيا وموزمبيق •

ولقيت الحملة من اتباع ديجول فى لندن كل معاونة • واتخذ القتال شكلا واسعا عندما هبت قوات الجزيرة لمقاومة الحملة •

ثم ما لبثت المقاومة أن تلاشت وتم توقيع الهدنة فى ٥. نوفمبر • وبذلك ضمن الحلفاء وقف أى تقدم يابانى تجاه الغرب وتأمين موانىء اتحاد جنوب أفريقيا من خطر الغزو •

كذلك كانت نية برلين اتخاذ جزيزة المارتينيك احدى جزر الامبراطورية الفرنسية قاعدة لغواصـــاتها • فصممت الولايات المتحدة ألا تدعها تسيطر عليها • ولما لمس قائد السفن الحربية الفرنسية هذا التصميم اضطر الى التسليم فنزع السلاح من حاملات الطائرات بيرن واميل برتان وجان دارك ، وتوقفت محطـــات الجزيرة من ارسال الاذاعات الخارجيـــة حتى لا تستفيد منهـــا الغواصات الألمانية فى المحيط الأطلسى • وفرضت رقابة شديدة على طرق المواصلات عبر جزر الانتيل •

ولا جدل أن قوات فرنسا الحرة لعبت فى نضال الديموقراطية ضد الديكتاتورية دورا ظاهرا • وقد رأينا كيف صمد أبطـــال بير حكيم بقيادة الجنرال كوينج لقوات المحور القوية فى بقعـــة من الصحراء مهجورة مدة أسبوعين كاملين دفاعا عن حصنهم • فنجحوا فى وقف تقدم الغزاة تجاه الاسكندرية مدة أفادت الجيش الثامن • وكانت قوة الفرنسيين الأحرار بقيادة كوينج تتألف من ثلاث كتائب وبعض القطع البحرية وتحتل خط الدفاع الشمالى للحلفاء الممتد من بير حكيم الى نيتز بردج والغزالة • فرأى روميل

أن يستولى على هذا الخط بسحق القوة المدافعة عنه ثم مفاجأة القوات البريطانية • وتنفيذا لهـذا هاجمها فى ٢٧ مايو بقوات ايطالية ردت على أعقابها بخسائر كبيرة دمرت فيها ٤٨ دبابة • ثم هوجمت بير حكيم من الشمال والشرق بقوات ايطاليا تساعدها ٥٠ دبابة وبدأت المعركة حامية الوطيس حتى انتهت بالفشل • فوجه اليها هجوما جديدا قوامه المصفحات والقاذفات الألمانيـة الكثيرة وبلغت المعركة غاية العنف • وصودف فى هـذه اللحظة الرهيبة أن منى هجوم ريتشى المضاد فى الشمال بالفشل وتحملت القوات البريطانية خسائر جسيمة • ومع ذلك بقى حماة بير حكيم الأبطال يدافعون دون يأس حتى جاءهم فى ١١ يوليه أمر من القيادة العليا باخلاء الحصن فأفلت منهم فى جنح الظلام ثلاثة آلاف مقاتل وتعرضت سيارة كوينج التى كانت تقودها مجندة انجليزية لوابل من الرصاص قبل أن تنجو بمن فيها •

كان الانسحاب من بير حكيم نقطة تحول خطر فى المعركة • ولكن « فردان الصحراء » بقيت موضع اعجاب العالم كله ، اذ لم يكن لدى المدافعين عنها من الغذاء والماء والذخيرة الا القـدر اليسير • ومع ذلك أظهروا من ضروب البطـولة ما يفخـر به المحاربون • وفى الاحتفال بتمجيد الجنرال كوينج ورجاله بتسليمهم الأوسمة التى أنعم بها عليهم خطب الجنرال ديجول فقال « اننا

نحيي فيك زميلا مجاهدا فى سبيل تحرير الوطن ونمجد فى زهو انتصارك العظيم أنت ورجالك » •

كانت هذه المقاومة وأمثالها والنشاط والغيرة اللذين أبداهما المحاربون الفرنسيون الأحرار دافعا لحماسة الفرنسيين جميعا فاتسعت حركة المقاومة فى فرنسا • وجاهر باحتجاجه الغيورون أمثال مسيو هريو ومسيو جينين على سياسة لافال الشاذة وقسوة رجال ادارته • وبدأ النضال من أجل الحرية والعدالة يشتد ، وأخذ أصدقاء بيتان ومعاونوه يهجرونه وينفضون من حوله وتمادى بعضهم فوصفوه بالخيانة •

ولما ظهرت طلائع الارمادا الأمريكى الانجليزى على شواطىء شمال أفريقيا فى وقت كان الفيلق الألمانى يمعن فى الهرب من الحدود المصرية ويحاول عبثا الافلات من قبضة الحلفاء كانت قوة الجمعية الوطنية الفرنسية فى ذروتها واعترفت مصر بالمفوضية الفرنسية الحرة •

ولتكملة ما أوردناه من تفاصيل نذكر ملخصا لمقال نشر فى صحف باريس لأول مرة سنة ١٩٤٥ بقلم الأب كاريير جاء فيه أن المحاربين الفرنسيين القدماء بدأوا المقاومة من القاهرة حال بلوغهم نبأ كارثة فرنسا اذ أبرقوا الى بوردو مطالبين مسيو بول رينو والرئيس لبران بالامتناع عن توقيع الهدنة • فلما وقعت اجتمعوا

وناقشوا الحالة وقرروا بمساعدة الجمعية الوطنية فى مصر مواصلة القتال • وما لبثت الحركة أن اتسعت رغم محاولة وزير فيشى فى القــاهرة عرقلتهــا • ووفد على مصر الجنــود الفرنسيون الذين لبوا دعوة ديجول من سوريا ولبنان كما وفدت كتيبة أخرى من قبرص وتألفت منهم جميعا أول فرقة للمقاتلين الفرنسيين الأحرار اندمجت فيها عناصر من قوات المستعمرات الفرنسية فى تشاد •

فجــــر النصــــر

هزيمة المحور فى العلمين

تحرير شمـال أفريقيـا

كارثة الألمـان فى العلمين

— ٣٦ —

عندما عدلت القيادة العــامة فى الشرق الأوسط ونصب عليها الجنرال الكسندر كما وضع الجيش الثامن تحت أمرة الجنرال مونتجمرى كان الحلفاء يستعدون لسحق جيوش المحور فى ليبيــا ومصر سحقا تاما . لذلك وضعت الامبراطورية البريطانيــة هى وحلفاؤها تحت تصرف هذين القائدين كل ما أمكن من عون لتنفيذ المشروع الكبير الذى وكل اليهما .

وعرف الجنرال الكسندر أنه من أبطال القواد الذى تمت على يده عدة انتصارات كبيرة وكانت له شهرة امتاز بها هى تدبير الأمور فى أحرج المواقف ، فهو آخر من غادر دنكرك سنة ١٩٤٠ وقاد بنجاح أعظم انسحاب عرف أمام قوات يابانية تزيد كثيرا على قواته .

وكأنما القدر أراد أن يترك لمونتجمرى شرف سحق خصم الحلفاء الألد ، رومل ثعلب الصحراء فقتل سلفه فى القيــادة ، الجنرال حوت ، كما كلمنا . ولم يكن الانتصار العظيم الذى أحرزه الجيش الثامن على يديه أمرا طبيعيا أو شيئا محققا وقتئذ . اذ كان الطريق اليه شاقا وعرا وطويلا . وكانت نتيجة معركتى العلمين وستالنجراد فى عالم الغيب لم يتكهن أحد بهما . وكانت قوات

المحور فى البلقان وروسيا وأفريقيا ما زالت سليمة قوية رغم المتاعب التى أحاطت بها •

كان مونتجمرى على غرار كرومول متمسكا بالمذهب البيورثانى واثقا بقواته • وكانت له موهبة القيادة والقدرة على الهاب روح رجاله بالحماسة ودفعهم الى شعور الثقة بأنفسهم • وفى فترة الركود التى سبقت المعركة الكبيرة أخضع رجاله لبرنامج يومى قاس ، فكان يمرنهم تحت وهج الشمس وحرارتها ولم يترك شيئا فى استعداده للمصادفة • وهيأهم للهجوم الكبير الذى ينتظرهم فبث فى روحهم الشجاعة وفى أجسامهم القوة والمهارة • وكان النظام الذى أخضعهم له لا يقل عن نظم اسبرطة القديمة لشبابها الاغريقيين •

أما رومل فكان من جهته يستعد هو الآخر لهجوم جديد • وكان لا يصل اليه من الامدادات التى ترسلها له القيادة العامة تباعا الا القليل بفضل مهاجمة طائرات الحلفاء للسفن الايطالية التى تحملها • واكتشف الحلفاء فيما بعد أن ضمن الامدادات التى وصلت اليه فرقتان من كريت • كما تبين لهم اندماج كثير من جنود المظلات فى مشاته • وقدرت قواته جميعا بمائتى ألف جندى تدفقت عليها الذخائر والمؤن فى سفن ايطالية لقيت على يد الأسطول البريطانى كثيرا من الخسائر • كما كانت خطوط النقل

فى الصحراء معرضة لضربات لازبة من سلاح الطيران الملكى •
وشهد رجال الجيش الثامن فى زحفهم على برقة مبلغ ما لحق الفيلق الافريقى من اضرار على يد رجال مارشال الجوسير تيدر فتبعثرت هنا وهناك السيارات وصهاريج البترول والماء ، والطائرات فى المطارات والسفن فى الموانىء • كما أكد الأسرى سوء الحالة فى معسكر رومل •

وعندما علم مونتجمرى بقرب هجوم رومل فى نهاية أغسطس جمع رجال هيئة أركان حربه ووجه اليهم العبارات التالية «لا تراجع بعد الآن ، أن رومل قائد ماهر ولكن لا تنسوا أن له مواطن ضعفه » •

وكان مونتى كما سماه رجاله مصيبا فى رأيه فقد لاقى رومل جيشا عنيدا صد هجومه • كما لقى على يد خصومه أول هزيمة عرفها انتهت بكارثة نهائية لجيشه •

أخذ كل من الجيش المتعاركين يسبر غور الآخر • وحاول جماعة من رجال الكوماندوز الايطاليين والبريطانيين نسف سكة حديد مريوط بالقرب من البحيرة والقيام بعمل عدوانى فى ميناء طبرق كل بدوره ولكنهم فشلوا • وانقضى شهر سبتمبر بمناوشات دلت على بطولة من الجانبين •

وفى ٤ اكتوبر صرح رومل من برلين بأنه لا يبعد كثيرا عن

الاسكندرية وأن مفاتيح مصر فى قبضة يده • وكان المحور يكثر من دعايته فى هذا الشأن حتى أن روما جهزت ميداليات تذكارية قالت انها للتوزيع كذكرى لدخول القاهرة • ولكن الحقيقة التى عرفها الحلفاء أن روميل لم يكن ينوى القيام بهجومه النهائى قبل أن يتلقى امدادات كثيرة طلبها •

كان خط الجبهة يمتد ثلاثين ميلا من الشاطىء فى الشمال الى منخفض القطارة فى الجنوب • وكانت الأرض الفضاء بين الجيشين تمتلىء بالألغام العميقة وتحاط بالأسلاك الشائكة • وعرف مونتجمرى أن خصمه وزع نصف مصفحاته فى الشمال بالقرب من الشاطىء لشد أزر مشاته من الألمان والنصف الآخر فى الجنوب حيث المشاة الايطاليون والنازيون • وكانت قوات المحور تتألف من فرق البانزر الخامسة عشر وليتوريو المصفحة وبولونيا والبانزر الحادية والعشرين وأريت المصفحة وبرسكيا وفليجور وبافيا وقوات كثيرة من المشاة النازيين • فى حين كان الجيش الثامن يتألف من فرق المصفحات الانجليزية والمشاة الانجليز والاستراليين والنيوزيلنديين والهنود وقوات فرنسية ويونانية •

وكانت خطة مونتجمرى فى معركة مصر أن يعمد الى توجيه الضربة الأولى قوية الى أقصى حد ثم يتبعها بهجمات ثانوية سريعة تمكنه من مواصلة الهجوم ودفع عدوه الى الوراء فى عنف وتطهير

خطوطه منه والزامه بحركات سريعة بالقيام بهجوم مضاد لسد ثغراته المفتوحة فتحصده المدافع الثقيلة والخفيفة بضربات حامية مركزة فيضطرب حاله وتحل به الفوضى فينسحب بلا نظام وهذا ما حدث بالضبط مما سيرد تفصيله •

وعرف قائد الجيش الثـامن أن رومل اعتقد بتوجيـه الهجوم اليه فى أضعف مراكزه أى فى الوسط عند قطاع رويسات ، وأنه لذلك هيأ له فى هذا المكان كمينا خطيرا لحصر الجيش الثـامن كله بين دائرة من الفولاذ بمصفحاته المتقدمة على عجل من الشمال والجنوب • فعمد الى المهاجمة فى أقوى مراكز رومل فى شمال خطه بالقرب من الساحل ، وترك للمدفعيـة مهمة القضـاء على تحصيناته • فكانت المدافع مركزة متقاربة فى جبهة طولها ستة أميال ويعجز الوصف عن تصوير الجحيم الذى صبته فوهات تلك المدافع • وكان رومل متغيبا عن مقر الجبهة وقت الهجوم مخلفـا مكانه الجنرال ستوم فقتل هذا على أثر غارة جوية ثم ما لبث أن أسر خلفه الجنرال توما •

فى تمام الساعة العاشرة الا ثلث من مساء ٢٣ اكتوبر صدرت أوامر القيادة ببـدء الهجوم • وفتحت الثمانمائة مدفع أفواهها الجبارة تسلط منها حممها على قوات المحور • وكانت قيادة الجيش الثامن قد عرفت على وجه التحقيق أماكن المدفعية الايطالية الألمانية

فأخذت تحصدها حصدا • واستمر زئير المدافع ووميض النيران ربع ساعة اعترف الجنرال فون توما بعد أسره بشدة تأثيرهـا فى مصفحات المحور التى ركزت بالقرب من خط الجبهة •

تلى ذلك هجوم المشاة تحميهم نيران المدافع لتطهير الطريق أمام الدبابات من الألغام المبثوثة • وقد تبين للحلفاء بعد اقتحامهم خطوط العدو ما تركتـه نيران مدفعيتهم من كثرة القتلى وعمق الثغرات وامتلاء المخابىء والخنادق بجثث القتلى وأشلائهم •

وحرصت قيادة الجيش الثامن على أن تترك قيادة رومل تتخبط فى تقديرها لحركاته بأن عمدت الى القيام بعدة هجمات ثانوية فى طول الجبهة • فاتجهت قوة الى جنوب الحمامات كما اتجهت قوة أخرى الى حيث مصفحات المحور فى الجنوب لمناوشتها لتمنعها من الاتصال بقواته فى الشمال • ونزلت قوات من رجال الأسطول عند مؤخرة قوات المحور تناوشها وتقاتلها • وقام السلاح الجوى بغارات متوالية بلغت فى ليلة واحدة أكثر من ألف غارة •

أزالت فرقة الألغام ما امتد منها فأفسحت طريقا لمرور الدبابات كان لا بد لها من سلوكه وسط الألغام للوصول الى مواقع العدو • وتكاتفت جميع الأسلحة فى الهجوم ونفـذت الى خطوط العدو فى مساحة طولها ستة أميال • وكانت مفاجأة الهجوم محكمة أخذ العدو بها حتى لقد كان بعض ضباطه فى ملابسهم الداخلية •

دخلت طلائع المصفحات الأماكن التى طهـرت من الألغـام

فى ٢٥ أكتوبر • ورأى رومل بعد عودته أن ينسحب الى الدبة لخطورة مركزه • ولكن هتلر أمره بالبقاء حيث هو وبوقف الهجوم • فكان هذا الأمر قضاء على مستقبله •

وبفضل ما بقى لقوات المحور من مدافع ظلت تقاوم ضغط القوات الاسترالية ورأت قيادة الجيش الثامن وجوب فتح ثغرة جديدة فى خط العـــدو فجهزت لذلك قوة ضخمة من الدبابات والمصفحات والمدفعية المتحركة والمضادة للدبابات والمشاة وتقدمت بها تحميها المدافع الثقيلة فى حين بقى الاستراليون فى مناوشتهم لقوات المحور حتى لا تجد وقتا تستعيد فيه أنفاسها •

وتحمل رومل فى الهجوم المضاد الذى اضطر اليه خسائر كبيرة • وتم للحلفاء ما أرادوا فوسعت الثغرة فى خطوط المحور اتساعا سمح لدباباتهم بالانتشار وسحق ما بقى لرومـــل من مصفحات فى موقعة العقاقير حيث فقد ٢٦٠ دبابة • وأهاب مونتجمرى برجاله قائلا « ها هو العدو فى قبضة يدنا فلا تدعوه يفلت بل واصلوا الضغط حتى يتم سحقه » • ثم أدلى لجماعة من المراسلين الحربيين فى ٥ نوفمبر بتصريح قال فيـــه « لقد حصلنـــا على نصر مؤكد وهو أقرب الينا مما كنا ننتظر » •

وفى الواقع أسرع رومل منسحبا الى الدبة بعد معركة خسر فيها كثيرا وقتل خلالها اثنان من الأمراء الايطاليين • وحاولت فلول البانزر وقف تقدم الحلفاء فى منحدر فوكة فردت على أعقابها • وارتفع عدد الأسرى الى ٢٠٠٠٠ كما استولوا على ٣٥٠ دبابة

و ٤٠٠ مدفع وبضعة آلاف من السيارات وأحاطوا بخمس فرق ايطالية تركها رومل وحدها دون وسائل النقل حتى تستعين بها قواته النازية على الانسحاب • وفى ٨ فبراير حين كانت الفلول الألمانية تعبر الحدود المصرية مرة أخرى الى غير رجعة وردت الأنباء بنزول قوات أمريكية كبيرة فى سواحل أفريقيا الشمالية •

واحتل الجيش الثامن البردية وطبرق فى ١٢ و ١٣ نوفمبر ووصل الى الغزالة فى ١٤ نوفمبر والى مارطوبا فى ١٦ ، ثم الى بنغازى فى ٢١ واجدابية فى ٢٣ نوفمبر وهى الأماكن التى كانت مسرحا لانسحابه فى الربيع • وفى أغيلا وقف تقدمه ريثما يستعد للوثبة الجديدة • ومع أن رومل بقى له ٥٠٠٠٠ جندى وعدد محترم من المدافع الا أن الحلفاء لم يجدوا صعوبة فى اضطراره الى مواصلة الانسحاب وفى الاستيلاء على مرسا بريجا •

وبذلك تحررت مصر نهائيا من كابوس ثقيل من القلق ظل جاثما على صدرها طويلا • وواصل رومــل انسحابه على طول طريق ڤيتاليتوريا الذى أنفق موسولينى كثيرا فى انشائه ليسهل عليه غزو تونس ومصر • وتم احتــلال الحلفاء لطرابلس وأمعن رومل من الهرب الى خط ماريت الذى ما لبث أن سقط بدوره •

- ٣٧ -

ورد فى خطاب العرش فى حفلة افتتاح البرلمان فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٣ أن بريطانيا وعدت بالسعى ليكون لمصر مقعد فى مؤتمر الصلح • وكان رئيس الحكومة قد تلقى نص الخطاب التالى من السفير البريطانى « يشرفنى ابلاغ رفعتكم أننى اتصلت بحكومتى فى المسائل التى بلغتموها لى شفويا فى ١١ يونيه عن تمثيل مصر فى مفاوضات الصلح عقب انتهاء الحرب ففوضتنى بتبليغكم أنها ستعمل جاهدة على تأكيد تمثيل مصر على قدم المساواة فى مفاوضات الصلح • ولن تبحث حكومتى فى هذه المفاوضات أية مسألة تمس مصلحة مصر مسا مباشرا دون استشارة الحكومة المصرية » •

كانت واشنجتون تستعد من زمن طويل لاشتراك فعلى فى القتال ضد المحور بعد أن اعتدت عليها اليابان فى ميناء بيرل هاربر • ورسمت خطة لغزو سواحل أفريقيا الشمالية لتحول دون غزو لها من جانب المحور • لأنه ان تم ضمن لنفسه فيها قواعد قوية يهدد منها أمريكا تهديدا مباشرا • فجهزت حملة ضخمة بالاشتراك مع الأسطول البريطانى والسلاح الجوى الملكى بقيادة الجنرال ايزنهاور ، نزل رجالها على سواحل أفريقيا الفرنسية فى البحر الأبيض والمحيط الأطلسى • كما أنها كانت تهدف بذلك الغزو الى التمهيد لفتح جبهة ثانية تكون عونا لحلفائها الروس وتخفيفا للضغط عليهم •

ولم ينس الحلفاء قبل القيام بهـذا العمل شرح أغراض الحملة للحكومة الفرنسية والشعب الفرنسى ، وتأكيد الرغبة عن أى كسب أقليمى . وان غرضها لم يكن الا مجرد طرد قوات المحور من تلك المنطقة تمهيدا لتحرير فرنسا وامبراطوريتها . وطالبوا بتقديم العون وعدم المقاومة حتى تتهيأ لفرنسا أسباب استعادة مركزها بين الدول .

فلما تم نزول رجال الحملة ألقت الطائرات منشورات على المدن الفرنسية ومراكش والجزائر وتونس تتضمن صداقة أمريكا التقليدية لفرنسا وشمال أفريقيا وتعلن ارسال قوات ضـخمة الى السواحل لمنع غزو المحور لها والقضاء على نفوذه وتحرير فرنسا المحتلة ، كما يؤكد نية الانسحاب حالما يضمن الحلفاء أن المحور لم يعد يهددها ، وتصرح بأن هذا الغزو لا يغير شيئا فى سـيادة فرنسا على الامبراطورية .

كانت قوات الحملة تقدر بنحو ٥٠٠ ٠٠٠ جندى . وكاد الذين رأوا رجالها ينزلون بالشواطىء لا يصدقون أعينهم لنجاح الحلفاء بمفاجأة المحور بهذا العدد الهائل . وغضب هتلر على رجال مخابرته السرية لفشلهم فى تحذيره فى الوقت المناسب بما كان حادثا فى أمريكا لهذا الاستعداد ، وأوقع بكثير من ضباط أركان حربه عقوبات صارمة .

ظهر فى السـاعة الثالثة من صباح يوم ٨ نوفمبر ١٩٤٢ أرمادا ضخم قوامه ٣٠٠ سفينة نقل كبيرة تحرسها ٣٥٠ سفينة حربيـة وتحميها من الجو مظلة ضخمة من الطائرات.ودرست الخطط الأولى للغزو فى واشنجتون بين الرئيس روزفلت ومستر تشرشل ورؤساء

هيئة أركان حرب الجيشين الأمريكى والانجليزى وتقرر فى الاجتماع بعد اقرار كافة التفاصيل اتباع خطة الألمان بالتفاف فى حركة كماشة بحيث يتم حصر جيوش العدو فى أفريقيا بين قوات الجيش الثامن وقوات الحملة •

ولضمان نجاح الخطة تقرر اتصال الحلفاء بالجنرال جيرو بعد هروبه من معتقله فى حصن كونجستن . فدلف سرا الى الشاطىء الأفريقى الجنرال كلارك ، أحد قواد الجيش الأمريكى الذى ظهرت مواهبه فى تونس وايطاليا • وذهبت مساعى رجال فيشى فى القبض عليه سدى وكانوا يتتبعون خطواته ويقفون له بالمرصاد • ولم تنجح محاولة الحلفاء فى اقناع الجنرال فيجان بالتحول الى جانب مقاومة فرنسا الحرة • بل أصدر أوامره بناء على طلب فيشى بمنع اتصال العسكريين من رجاله فى شمال أفريقيا بأى أمريكى دبلوماسى أو عسكرى وقرر معاقبة من يفعل ذلك بأقصى عقوبة •

وبعد اتصالات يحيطها الكتمان التام تلقى الجنرال ماست القائد الفرنسى المقيم فى تونس رسالة سرية من الجنرال جيرو بوصفه قائدا عاما لقوات فرنسا فى شمال أفريقيا من قبل ديجول خول له فيها حق تنظيم الخطط اللازمة لمساعدة الحلفاء • وفى الحال اتفق ماست مع مستر مارفى ممثل أمريكا فى شمال أفريقيا على تدبير خطة ترمى الى استغلال التنظيمات المدنية المنشأة فى أنحاء أفريقيا الشمالية التى تشمل مراكزها المدن الكبرى حيث اتباع ديجول • واحتاج الأمر لتحقيق هذه الخطة بضعة أشهر •

وكان من الضرورى أن يعرف الفرنسيون القائمون بالعمل مكان نزول الحملة وعدد قواتها لأنهم لم يكونوا فى مركز يسمح لهم بالجهاد دون التأكد من قرب مجيئها وضخامة عددها .

وفى ٢٢ أكتوبر تمت مقابلة هيأها مستر مارفى بين الجنرالين ماست الفرنسى وكلارك الأمريكى اشترك فيها ضباط من الفريقين حددت فيها التفاصيل التى يحتاج اليها المجهود المشترك . وتبين بوضوح فى المؤتمر المعقود نية حكومتى واشنجتون ولندن القيام بمحاولة انزال قوات ضخمة على سواحل أفريقيا . وتأكد للفريق الفرنسى عظم القوة وكثرة الأسلحة التى ستقف الى جانبهم بحيث يمكن التغلب بسهولة على حاميات شمال أفريقيا البالغة فى مجموعها ١٠٠٠٠٠ جندى وعلى ما قد توفده اليها برلين من مدد .

ولم يكن تنفيذ خطة الحلفاء مستطاعا دون مساعدة صحيحة من الفرنسيين الذين تتجه ميولهم اليهم حتى لاتطول المقاومة أو يتهيأ للنازيين ارسال قوات كبيرة لوقف الغزو . وانتهى الاتفاق الى نقل الجنرال جيرو فى غواصة بريطانية من مكان ما فى ساحل فرنسا الى شاطىء الجزائر لينفذ الخطة التى اتفق عليها بمباشرته .

وكان تدبير ماست فى مراكش وأوران غير ناجح لأن ميول الجنرال بينفوارد فى الأولى كانت تتجه نحو فيشى فقاوم كل خطة ترمى الى مساعدة الحلفاء . كما خشى الضابط الذى كان يعمل لحسابه فى أوران القيام بمخاطرة تكون نتيجتها وبالا عليه فلزم الهدوء ولم يقم بأى نشاط فى مصلحة ماست .

أما فى الجزائر فان التدابير التى اتخذت لعدم مقاومة الغزو فقد كللت بالنجاح • اذ سهل الكولونيل باريل القائم بحراسة سيدى فيروش عملية النزول ورتب الأمور بحيث تم للحملة الاستيلاء على حصن الجزائر فى بضع ساعات •

كان من الضرورى أن تلزم السلطــات المدنيــة والعسكرية فى الجزائر جانب الحياد على الأقل ، لأنها كانت تستطيع مقاومة الحملة بكافة الوسائل وتعوق نزولها • لذلك رأى القائمون على مساعدة الحلفاء تكليف المنظمات والتشكلات المدنية بالعمل • فقام رجالها من أنصار ديجول بمحاصرة الدور التى تحوم حول أصحابها الشبهات فى اثارة القلاقل ومقاومة الغزو • وكان بين هذه الدور دار ينزل بها الاميرال دارلان لعيادة ولد له اشتد عليــه المرض • وتمكن القبض على أصحابها بما فيهم دارلان وبذلك انقطعت الصلة بينه وبين غيره من القواد داخل البلاد • فاضطر الى توقيع هــدنة مع الحلفاء فى مصلحة الحامية وأصــدر أوامره لحاميات أفريقيا الشمالية الأخرى بالكف عن المقاومة •

فكان للمساعدة التى لقيتها الحملة من رجال فرنسا الأحرار فى شمال أفريقيا أكبر عون على احتلالها فى ثلاثة أيام وعلى القضاء على أية مقاومة • ولم تكن مراكش واوران فى نظر قائدا لحملة بأهمية الجزائر لاقامة الادميرال دارلان وقواد الأسلحة الفرنسية المختلفة فيها •

كانت الرغبة فى فرض الرقابة المطلقة على قناة السويس من أهم أسباب الحرب فى أفريقيا . لذلك يحسن أن نبين فى ايجاز مساهمة الشركة فى المجهود الحربى والدور الذى لعبه القائمون عليها أثناء الحرب .

عندما هاجمت ايطاليا مصر كان قصد المحور من هذا العمل الاستيلاء على السويس . وكان موسولينى يفكر منذ اعلان الحرب على الحبشة فى ربط البلاد التى يستولى عليها فى شمال أفريقيا وشرقها وذلك باحتلال مصر والسودان ومد نفوذه على قناة السويس حتى يمكنه ذلك من تنظيم شرايين امبراطوريته المائية وتأمينها . ولم تقف مطامع الديكتاتور عند هذا الحد بل تعدته الى أحلام عن امبراطورية واسعة بالاستيلاء على فلسطين ولبنان وسوريا والعراق . فاذا ما أصبحت هذه الأقاليم جزءا من الأملاك الفاشستية جاور بها تركيا وفاجأها فى الوقت المناسب . وقد عرفنا كيف استحال تحقيق تلك الأحلام .

ثم فكر هتلر ورومل من بعد موسولينى فى نفس الخطة وبحث النازيون خطة اتصال الفيلق الإلمانى فى أفريقيا بالجيوش النازية الفاتحة فى القوقاز بالقرب من تفليس . ولكن مياه القناة الزرقاء وقفت مرة أخرى دون تنفيذها .

كانت مقاليد شركة قناة السويس فى يد البارون دى بنوا اعترافا له من الأمم المتحدة بما أداه لها من خدمات ولبقائه مخلصا لقضيتها بعد سقوط فرنسا . وكانت عليه تبعات ثقيلة زهاء عامين .

اذ كانت السلطات البريطانية تفرض رقابتها على الشركة بموافقة مجلس ادارتها طول مدة الحرب لأن ميناء السويس كان من أهم ما شغل بال القواد الذين وكلت اليهم القيادة الحربية فى مصر • فعن طريقه تلقى ويفل وأوكنلك والكسندر المدد الزاخر من الرجال والعتاد وقت أن كان طريق البحر الأبيض مغلقا • والمساعدات الأمريكية التى كانت من أهم عوامل الانتصار فى العلمين تدفقت الى الصحراء من هذا الميناء •

وساعدت الشركة بما كانت تملك من موارد فى بور توفيق • وكانت تلك الموارد هى الوحيدة من نوعها فى الشرق الأوسط مما يمكن أن يستعين بها القائمون على ادارة الحرب فى فترة من فترات التاريخ الحاسمة على نقل الدبابات الثقيلة والسيارات المصفحة الضخمة والقطر الحديدية الكبيرة والطائرات وغيرها من ظهر السفن التى تقلها الى أفريز الميناء وذلك فى سنة ١٩٤٢ عندما كان الهجوم الألمانى فى أوجه •

كذلك ساهمت الشركة فى مجهود الحلفاء الحربى باستخدام أكثر من ثلاثة آلاف من عمالها وموانيها وأحواضها وورشها ووسائل مواصلاتها التليفونية والتلغرافية واللاسلكية ومواردها القيمة استخداما متواصلا خلال الحرب • كما قامت بمد أنابيب المياه العذبة وانشاء الأحواض وساهمت فى نقل مئات الآلاف من الجنود والمصفحات وسيارات النقل • ووضعت مكاتبها وورشها تحت تصرف الحلفاء فقدمت لهم بذلك خدمات قيمة • وفى الواقع

تحولت قناة السويس الى ترسانة لاتعمل الا لمصلحة القوات المسلحة فى الشرق الأوسط • فكانت قاعدة بور توفيق تستقبل قطع السفن التى يتطلب الأمر اصلاحها والتى تبلغ حمولتها أحيانا ٥٠٠٠ طن فتصلحها وتعيدها • وتمد القوات المحاربة بما تحتاج اليها محركاتها وآلاتها بقطع الغيار التى لاحد لكثرتها •

ولم تمنع الغارات الجوية المتواصلة على منطقة القناة مواصلة أعمال الشركة أو تحد من نشاطها • وقد بلغ مجموع الغارات ٦٤ غارة قتل فيها عشرة وجرح ثلاثة وعشرون من موظفى الشركة • كما دمرت هذه الغارات بعض منشآتها وأعطبت أو أغرقت كثيرا من سفنها • ووضعت الشركة طريق مواصلاتها الخاص قبل اتمام انشاء الطريق الذى نصت عليه شروط المعاهدة المصرية الانجليزية تحت تصرف الحلفاء وبلغ عدد السيارات التى سلكته حتى سنة ١٩٤٣ ٩٠٠و٠٠٠ سيارة •

ولا يمكن حصر المساعدات التى قدمها المصريون والجالية الفرنسية فى مصر الى الحلفاء ، تلك المساعدات التى كانت من العوامل الأولى لانتصارهم فى أفريقيا • وسيبقى الطريق المائى الجميل الذى يربط بين البحرين الأبيض والأحمر كما هو رباطا متينا بين الشرق والغرب • ونحن نأمل بعد انقضاء حربين عالميتين كبيرتين كان هذا الطريق بمثابة العمود الفقرى فيهما أن يكون دائما طريقا حرا فى عالم من السلام والطمأنينة •

كذلك ساهمت فى المجهود الحربى شركة واحات مصر الجديدة

التى أسسها البارون امبان المهندس البلجيكى فى سنة ١٩٠٣ ٠
وبفضل موارد هـذه الشركة استطاعت قيادة الحلفـاء أن تقيم
فى الصحراء خارج حدود مصر الجديدة مطار ألماظة الذى يؤلف
هو فاروق الأول حصنا قويا ٠

فلما أعلنت الحرب انتشرت فى هـذه البقعة الصحراوية آلاف
المخيمات والمنشآت الحربية من كل نوع وامتدت الى مساحات
بعيدة ٠ وأقيمت المصانع والثكنات وحظائر الدبابات والمدافع ٠
كما أنشئت المحطات اللاسلكية والمستشفيات والمكاتب من كل
نوع ٠ وما كان كل هذا ممكنا لولا ما قدمته الشركة للسلطات
العسكرية من مساعدات بمد أنابيب المياه وأسلاك الكهرباء وتعبيد
الطرق وتهيئة المجـارى مستعينة بعمالها ومهندسيها ورجالهـا
المختصين بتخطيط المدن ومواردها ٠

رجـــاء

المرجو من حضرة القارىء أن يتكرم بتصحيح الأخطاء الموضحة بعد مع الشكر .

صفحة	سطر	خطأ	الصواب
٢	٧	صرحت	حرصت (فى المقدمة)
٢	١	يهيم	يهتم
٢٢	١٩	الأرميرال	الأدميرال
٨٢	٦	و بأسد	بأسد
١٠٠	١٥	لهذا من	لهذا العمل من
١٣٢	٦	أولوا	أولو
١٥٩	٦	المتحدة الا	المتحدة على ألا
١٦٤	١٤	كما كلمنا	كما وضحنا
١٧٦	١	الغزو فقد كللت	الغزو كللت

